علمنة رمضان في الإعلام

لماذا يتسلّط المدنّس في الشهر المقدّس؟

عبدالرحمن العصيمي



علمنة رمضان في الإعلام

(لماذا يتسلّط المدنّس في الشهر المقدّس؟)

عبدالرحمن بريك العصيمي

إهداء

إلى:

كل غيور على دينه وأمته

إلى :

التائه وسط الظلام

إلى:

من أُحب أبقاكم الله لي

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

لما صدع النبي ﷺ بالدعوة إلى الإسلام، واجهته قريش بكافة أنواع العداوة، فمرة بالتكذيب، وتارة بالسباب والشتام، وأُخرى بالأذى والتنّكيل، كان من إحدى وسائل قريش الدنيئة في مجابهة دعوة الإسلام، هو ما فعله النضر بن الحارث، حينما سافر إلى الحيرة والشام، فتعلم قصصاً شعبية كانوا يحكونها عن ملوكهم وأمرائهم مثل: رستم واسفنديار، فلما رجع، بدأ يعقد النوادي والمجالس ليحدث الناس بتلك القصص، حتى يصرفهم عن الاستماع للنبي ﷺ، وهكذا كان يفعل في كل مجلس يجلسه النبي ﷺ؛ ليعلّم الناس الإسلام، وكان يقول: بمَ محمد أحسن حديثاً مني، هو يحدّث بأساطير وأنا أُحدِّث بأساطير، فنزلت فيه كل آية ذُكر فيها الأساطير قال تعالى: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفرقان:٥]، وقال: (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [القلم:١٥] .

إغواء البشر وتضليلهم لم يكن جديداً على ساحة الدعوة حينما نهض بها النبي ﷺ، بل كانت مع مهبط آدم إلى الأرض، وذلك في الحوار الذي دار بين الرب وإبليس :(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) [الحجر:٣٩-٤٠] ، فكانت المهمة لهذا العدو اللّدود منذ فجر الإنسانية، هي إغواء البشرية، وتزيين الباطل لها، وزرع الحشائش الضارة في العقول حتى تتجذّر في النفوس، ويُصبح القلب كما وصفه الهدي النبوي في حديث الفتن الذي رواه حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب

كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود **مربادا كالكوز، مجخيا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه»).**[1]

لا أتعجب وانا أقرأ قصة النضر بن الحارث، مما تبثه القنوات الممقوتة في زمننا من هدم للقيم، وإثارة للغرائز، وإلهاء الناس عن العبادة، ودسّ السم في العسل، وخاصة في شهر رمضان الفضيل، فكلا الفعلين في الصد عن الحق يخرجان من مشكاة واحدة، ألا وهي غاية إبليس:(إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[البقرة:١٦٩].

- التنوع المنظّم في البرامج والمسلسلات، وعرض بضاعة مزجاة للمشاهد في هذا الشهر، يدل على أن نظرية النضر بن الحارث ما زالت مستمرة إلى زمننا هذا، بطريقة مغايرة ووسيلة أقوى في التأثير والتزويغ عن الحق، فعروض (التعرَي الرخيص) و الرومانسية (الكاذبة) والتغنّج المُصطنع عمداً لإثارة كوامن الغرائز، يُحشد لها الأموال والعمل الدؤوب طيلة أشهر السنة، والهدف (**اشغال المسلم في موسم الرحمات، حتى ينسلخ الشهر**)، وذلك هو الخسران المبين.
- منهج أهل الباطل واحد عبر كل القرون، وإن اختلفت وسائل الإضلال، فقد قال قوم نوح لنبيهم نوح:(قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الأعراف:٦٠] ، وقالت عادٌ لنبيهم هود:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه

[الأعراف:٦٦] ، وقالت مدين لنبيهم شعيب :(وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)[هود:٦٩]، تعدد الأقوام وتعدد الانبياء، ومنهج الشر والإغواء والأذى واحد.

إشغال أدوات العلم والإدراك والخشوع عند الإنسان (السمع - البصر- الفؤاد)، هو ديدن تلك القنوات، فالعين والبصر نافذتان للقلب بما يحملانه من خير أو شر، (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء:٣٦]، وحينما تُشغْل قواعد بناء القلوب في اللهو والإثارة، تُفقد لذة العبادة، ويُحرم العبد فضيلة الخشوع، وتمضي مواسم الخير دون استزادة القرب من الرب، وحينها ينال المفرّط جزاء التفرّيط كما حدّث مقام النبوة:(ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له)[١]

مات النضر بن الحارث وآلت أساطيره إلى التراب، وبقي منهج الشر والإفساد إلى يومنا هذا بل وإلى قيام الساعة، وهذا الصراع بين الحق والباطل من سنة الحكيم الكونية على البسيطة مذْ أُهبط آدم عليه السلام: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)[الأنعام:١١٢].

ومن المسلّم به عند كل مسلم في جميع الأرض قاطبة برّاً كان أو فاجراً، عِظَم هذا الشهر وقدره ومنزلته، فهو الشهر الذي ذُكر في القرآن دون غيره من الشهور، وكان فيه نزول وحي السماء على محمد بن عبدالله ﷺ، بل وقد هُيِّئ فيه من فرص الرجوع والتوبة وتكفير السيئات مالم يكن في غيره من

(١) اخرجه الترمذي في سننه، ابواب الدعوات.

الشهور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا جاء رمضان فُتّحت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين)[١].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)[٢]. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الصيام جُنّة من النار، كجنّة أحدكم من القتال)[٣].

ولا يخفى على كل مسلم عظمة ومنزلة هذا الشهر الفضيل وكثرة الآيات والأحاديث الدالة على رِفعته وقدره. ولذلك كان من حِكم الصيام ليس فقط صوم النفس عن الطعام والشراب؛ بل معناه متعدٍ إلى أبعد من ذلك؛ فالتقوى هي آكد حِكم الشارع في هذا الشهر، وخَصيصةً من خصائصه، فالنهي عن الرفث والفسوق والشهوات والمفاتن هو مما يستدعيه هذا الشهر؛ لتربية القلوب وصونها عن الحُرمات والصبر في سبيل ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)[٤] .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله عزوجل: كل عمل بن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه البخاري.
(٥) أخرجه البخاري ومسلم.

فإن كان من حِكم الصيام البالغة هو تحقيق التقوى باتباع ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، فلقد دأبت الفضائيات في هذا الشهر لكسر هذه المنزلة الرفيعة التي خُصّص بها هذا الشهر، ورفع العظمة والمنزلة من قلوب المسلمين عنه، ظاهراً وباطناً، فنحن نشهد لحظات تدفّق هائل تملأ سحائب رمضان فتناً وشهواتٍ في جلّ القنوات والفضائيات، وهذه الحالة - الطرح المنظّم للشهوات والشبهات- التي تشهد عنفوانها في هذا الشهر؛ لمَ نعهد لها مثيلاً في تاريخنا الماضي والقريب على الأقل، فهذا الأمر مستحدثٌ في خارطة المسلمين في عصرنا الحاضر، بل كان الفاجر يستحيي أن يُظهر فجوره بين زمرة المؤمنين الصائمين.

- منذ سقوط الدولة العثمانية، مروراً باتفاقية سايكس بيكو في تقسيم دولة الإسلام، ووصولاً إلى مراحل الإستقلال-الوهمي- لدول العالم الإسلامي وانتهاءاً إلى صعود الحكومات العلمانية لكراسي السلطة بتبني المنهجية الغربية والتبعية في الحكم والتشّريع؛ عانت الأمة في خضّم هذه التبعية ويلات من الفتن التي تعصف بأبنائها، واستمرت الحرب الضروس على هذا الدين وأهله بكل أصنافها ومجالاتها، حروب عسكرية وأخرى فكرية، **والهدف هدم بنيان هذا الدين وتقويضه وإبعاد المنتسبين له عنه، حتى تستمر هذه التبعية متغلغلة فى الجذور العميقة فى تكوين وعى المسلم فى العصر الحديث.**

كانت الحرب الإعلامية وما زالت من أخطر هذه الحروب الفكرية، إذ الإعلام في العصر الحديث بات (يقوم بالوظائف والأدوار عينها التي

نهضت بها الأسرة والمدرسة طويلاً في مضمار التكوين وتشكيل الرأي والقيم والمعايير والأذواق، وربما على نحو فاق فيه الفعالية والتأثير ما كان في امكان تينك المؤسستين أن تقوما به)[١]، ولذا أدرك أهل الباطل فعالية التأثير الإعلامي والقوة الناعمة؛ فلم تخلُ استراتيجية حروبهم الظاهرة والباطنة منها.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نتساءل عن أمر مهم فيما يتعلق بشأن هذه الحروب الإعلامية الضارية التي تهجم كالأمواج المتلاطمة وتلفْحُ بني الإسلام يمنة ويسرة، إذ أنه في العقود الأخيرة شهدت الفضائيات العربية والإسلامية حالةً من الانحدار القيمي والانحلال الأخلاقي، ومظاهر من التفسّخ والعُري وإثارة الشبهات صباحاً و مساءً، وقد ترافق مع هذه الموجة ظاهرة محيّرة لم تكن في العصور الإسلامية السالفة، بل إن الحالة الإسلامية حديثة عهد بها، وهي أن جلّ القنوات والفضائيات تعمل جاهدة طوال أشهر طويلة لتعرض بضاعتها في شهر رمضان المقدّس، بل وتتفنّن تلك القنوات وتتجاذب التنافس فيما بينها لإغواء المشاهد وإبقائه أكثر وقت حبيس فضائية معينة، وجاءت هذه الورقة البحثية كاشفة عن أحد الأجوبة المهمة عن هذه الظاهرة وبيان الأسباب المتصلة بها.

والسؤال هنا: لماذا تسْتعر القنوات والفضائيات في خلال شهر رمضان؛ لتقدم للمشاهد في هذا الشهر كل ما تسنّى لهم من برامج ومسلسلات وأفلام وما إلى ذلك؟ لم كانت هذه الفضائيات في هذا الشهر من أبشع ما يمكن من السفور والعري والانحلال، وتشويه لمعالم الدين وبثّ دابة الشبهات؟ لماذا يحرص أصحاب تلك القنوات أن يجعلوا مجهود أشهر السنة لا يتأتّى

---

(١) العولمة والممانعة، عبدالإله بلقزيز، منتدى المعارف، الطبعة الثانية: ص٢٦.

حصاده إلا في رمضان؟ ألم يكن بوسع تلك الفضائيات أن تعرض بضاعتها في بقية الأشهر؟ ألم يكن من الأجدر أن يكون هذا الشهر شهر رجوع وأوبة وازدياد من الخير للمؤمن والفاجر؟ هذه الأسئلة هي التي تدور عليها رحى هذه الورقة البحثية؛ لنعثر من خلالها على إجابة نستقرأ منها منهج أهل الباطل؛ لتكون أولى خطوات الوعي بين بني الإسلام، وقطع الطريق على أولئك المتربصين بالدين وأهله.

وللإجابة على هذه الأسئلة فلابد أن نتعرف على البنية الأساسية للمنظومة الإعلامية في واقعنا العربي والإسلامي، وكيف تأسّست هذه المنظومة على أساس علماني صِرف، فإن دراسة العلمانية وأسسها وعلاقة الإعلام بالفلسفة العلمانية؛ سيجلّي لنا بنظرة فاحصة حقيقة الإعلام وحربه الشعواء في الشهر المقدّس.

ولذا سنتعرض في هذه الورقة أربعة مباحث رئيسة تكشف عن المنظومة التي تُشكّل هذا الكيان الإعلامي، وعلاقة الضخّ المتزايد للشهوات والشبهات بشهر رمضان.

المبحث الأول: السياق التاريخي للعلمانية والهيمنة الإعلامية.
ونستعرض في هذا المبحث- بشكل موجز- كيف دخلت العلمانية إلى العالم الإسلامي؟ وما نتج عن ذلك من سيطرة الفئات العلمانية على الأجهزة الرئيسة لدول ما بعد التقسيم ومنها الجهاز الإعلامي.
المبحث الثاني: فلسفة المنظومة الإعلامية في العصر الحديث: ونستعرض في هذا المبحث الأسس الفلسفية للعلمانية وعلاقتها بالمرتكزات الرئيسة

التي تقوم عليها المنظومة الإعلامية في عصرنا الحديث، والهيمنة عليها من قِبل أرباب الأموال والملّاك، وأهدافها من هذا المنظور، وكذلك الرؤية الفلسفية التي تقوم عليها الآلة الإعلامية في عصرنا.

المبحث الثالث: النماذج التفسيرية للحرب الإعلامية الرمضانية:

ونستعرض في هذا المبحث الأسباب المركزية في المنظومة الإعلامية الحديثة وعلاقتها بكسر المقدّس الرمضاني.

المبحث الرابع: نماذج من الحرب على المقدس في الشهر المقدّس:

ونستعرض في هذا المبحث تشويه صورة الإسلام وأهله في فضائياتنا المحلية وخاصة في شهر رمضان المبارك، وعلاقة هذا التشويه بالسياق السياسي العالمي، والهدف المرجو من هذا التشويه المتعمّد.

ليست هذه الورقة إلا محاولة بسيطة في سبيل فهم المنظومة الإعلامية في عصرنا وعلاقتها بالمقدسات، وهي قد قدّمَت رؤية قد تطرح لأول مرة- بهذا الشكل- في دراسة العلاقة بين أساس المنظومة العلمانية والحرب الضروس التي تشنّها في شهر رمضان الفضيل، وفيها من الصواب والخطأ، وماهي إلا إلماحة للدارسين والمهتمين من طلبة العلم والمصلحين بهذا الشأن، وهذا جهد المقلّ، وإن كان من صواب فمن الله وحده وإن كان من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وقبل الشروع في الحديث أود أن أشكر كل من ساهم وشجّع في إعداد هذه الورقة، وأسأل الله - جل وعلا - أن ينفع بها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عبدالرحمن بريك العصيمي

مكة المكرمة ١٤٣٩/٩/٩

Twitter: altorbed_10

Snp: altorbed

Email: torbedo-arabia@hotmail.com

المبحث الأول: السياق التاريخي للعلمانية والهيمنة الإعلامية.

- دخول العلمانية للعالم الإسلامي
- سلطة النخب العلمانية على الأجهزة الإعلامية.

- **دخول العلمانية للعالم الإسلامي :**

يجمع أغلب المؤرخين لفترة دخول العلمانية للعالم الإسلامي، في عهد والي مصر محمد علي باشا، وذلك الاحتكاك المباشر والفعلي الذي حصل بين الشرق والغرب، إبّان الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت الذي (استطاع غرس فسيلة العالمانية[١] بعد تنحية الشريعة وإشاعة الجو الأوروبي في الثقافة والذّوق المصري)[٢] ، وكانت تلك أولى الخطوات التي بدأت تتسلل فيها العلمانية من خلالها للديار الإسلامية.
وعقب عقود متطاولة من هذا الاحتلال بدأت عوامل الضعف في الأمة متبدية ظاهرة، وواكب ذلك مرحلة ضعف شديد في دولة الخلافة المركزية، حيث شعر الشرق (أنه دون الغرب بكثير حداثة وتقنية ، فأخذ يتطلع إلى نموذج الغرب، ويركض وراءه مقتفياً آثاره في كل شيء سلباً وإيجاباً. وتبدأ هذه اللحظة بالضبط عامي ١٨٥٤م - ١٨٥٦م حين أضفى السلطان عبدالمجيد على حركة تغرّيب الدولة صفة رسمية)[٣]، ولم تمضِ سنوات طويلة، حتى تلا ذلك مرحلة انتقالية لتطبيق العلمانية في دول العالم الإسلامي بصفة رسمية وتبعية محضة (فبدأت العلمانية تتجذّر في بلادنا الإسلامية عقب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م - ١٩١٨م، وهي المرحلة التي واكبت ظهور الدول العربية بصورتها الحالية، وذلك بعد اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م بين بريطانيا وفرنسا ومصادقة من روسيا، التي تمّ من خلالها تقسيم دولة الخلافة لدول مستقلة، وقاموا بترسيم الحدود بين هذه الدول، وبدأت مرحلة انسحاب الاستعمار الشكلي من الدول العربية

---

(١) يستعمل الدكتور سامي عامري مصطلح العالمانية بدل من مصطلح العلمانية.
(٢) العالمانية طاعون العصر، د.سامي عامري، تكوين لدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية، ص ١٥٣.
(٣) نموذج الحداثة وما بعدها في الفكر العربي الحديث، د.حميد سمير، تكوين لدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، ص١٠٢.

تباعاً، وتمكين حكومات عميلة بديلة لهذا الاستعمار)[١]، وقد ساعد دخول المذاهب الهدامة كالعلمانية وغيرها، عوامل متعددة: داخلية وخارجية، ساهمت بتركيبتها في تكوين جذر أساسي للعلمانية في عالمنا الإسلامي، وكان من أبرز العوامل الداخلية: الانحراف العقدي الذي وصل إلى أعلى درجاته من التصوف الشركي والبدعي والخرافات، وكان لعقيدة الإرجاء دور في هذا الانحراف الخطير، الذي كانت عليه المجتمعات الإسلامية، إضافة للاستبداد السياسي ، والجمود والتقليد، وإهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي ليست أسباباً مباشرة في وجود العلمانية، ولكنها أوجدت أرضية خصبة ومناخاً مناسباً للرضى بهذا المذهب الهدام، والنفاح عنه والسكوت عن خطره.[٢]

وعوامل أخرى خارجية كان أبرزها الاستعمار وأذنابه من دعاة التغريب والمنبهرين بالحضارة الغربية، ونجمل فيما يلي أهم هذه العوامل:

- الاستعمار الغربي بالقوة العسكرية الغاشمة واحتلال البلدان، وفرض الثقافة الغربية طوعاً وكرهاً على الشعوب المُستعمَرة؛ حيث ألغى الحكم بالشريعة الإسلامية واستبدلها بالقوانين الوضعية، وغيّر المناهج التعليمية الإسلامية، وأبرز الطوائف والمذاهب الغير إسلامية بإسم(حقوق الأقليات).
- نصارى العرب: حيث كان من أول الداعين إلى العلمانية في العالم الإسلامي هم نصارى العرب في مصر والشام، (وكان صوت هؤلاء

---

(١) بهاء الدي الزهري، الصعود العلماني في العالم الإسلامي جذوره وثماره، تقرير مجلة البيان ، التحولات الكبرى، مستقبل العالم الإسلامي بعد مئة عام من الحرب العالمية الأولى. ص.٥٧

(٢) للتوسع حول هذه العوامل أنظر: حقيقة اللبرالية وموقف الاسلام منها، د.عبدالرحيم السلمي، مركز تأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ص:٣٢١-٣٩٢

النصارى بالغ الحدّة في الحرب على التدين، والتأكيد على أن الدين يمثّل حجر عثرة أمام التقدم واللحاق بأوروبا التي تعتبر المعيار والقِبلة).[١]

- المنهج التوفيقي: قام جماعة من أبناء المسلمين ومثقفيهم بتقبّل النموذج الغربي والتطبيع له في البلاد الإسلامية، والتوفيق بينه وبين الإسلام ليتمكن بعد ذلك من التجذّر في المجتمع، فعمِد المستعمر إلى تجنيد المنبهرين بحضارته وتقدمه التقني من أبناء البلدان الإسلامية، واتخذهم أداة هامة للسيطرة الفكرية والثقافية على هذه المجتمعات، (ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر، استيقظ المسلمون على فارق الإمكانيات بين أوروبا والمجتمعات المسلمة، فظهرت حركات تبحث عن النهضة منذ رفاعة الطهطاوي (ت١٨٧٣م) وجمال الدين الأفغاني (ت١٨٩٧)، ثم من بعدهم، لكن هذه الحركات سلكت الطريق الخطأ للأسف... فنشرت ما تعيشه هي في ذاتها من شعور داخلي عميق بالهزيمة النفسية لثقافة الغرب الغالب... فأوّلت المعطيات الشرعية لتوافق الثقافة الغالبة؛ تمهيداً لتبيئته)[٢].ومما أسهم في ذلك تشجيع البعثات التعليمية التي كانت تنطلق من بلاد الإسلام (للتشبع بالفكر المغموس بحالة الإنبهار. وظهر الأثر السلبي للمبتعثين مع خروج الآلة العسكرية للمحتل، إذ استلم هؤلاء مقاليد الجامعات والدوائر المكونة للثقافة، وقد استطاعوا فرض المزاج الغربي في كل شيء)[٣]،

---

(١) العالمانية طاعون العصر، مرجع سابق ص:١٤٧.
(٢) سلطة الثقافة الغالبة، ابراهيم السكران، دار الحضارة، الطبعة الأولى ص١٠.
(٣) العالمانية طاعون العصر، مرجع سابق ص:١٥٣.

- الفرق الباطنية[1]: كالإسماعيلية والنصيرية والدروز والقاديانية وغيرها، فقد تعاونت مع العدو المحتل، ووقفت إلى جانبه وساعدت على تفريق صف المسلمين، وإشاعة العقائد الكفرية والخرافات بينهم.

- الجمعيات السرية والأحزاب السياسية: حيث "ظهر في أواخر الدولة العثمانية جمعيات وأحزاب سياسية سريّة تتلقى الدعم والمساعدة من الدول الاستعمارية التي كانت تتربص بالدولة، وتُستعمل هذه الأحزاب للضغط عليها بما يوافق مصالحها"[2]، وقد أنشئت كثيراً من هذه الجمعيات السرية في عهد الدولة العثمانية، كجمعية الاتحاد والترقي وجمعية بيروت وغيرها، والأحزاب السياسية، كحزب الوفد وحزب اللامركزية العثماني وغيرها. كل ذلك قد أسهم مساهمة مبكرة وقوية في تمكين المذاهب الهدامة في العالم الإسلامي وعلى رأسها العلمانية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م ، بدأت الدول الاسلامية تستقل - شكلياً- عن الاستعمار، وشيئاً فشيئاً تراجع النفوذ العسكري الغربي وانسحب من تلك البلدان، غير أنه وبعد رحيل الاستعمار عسكرياً عن معظم البلدان الإسلامية ظلت هذه الدول التابعة له محتلة فكرياً وثقافياً؛ بسبب تقلّد المنتمين للغرب مقاليد الأمور في هذه البلدان، وهذا يعني أن فكر المستعمِر لا زال هو مسيطراً حتى بعد رحيله، وفي هذا الصدد يقول ديفيد فرومكين[3] (تزامن صعود هذا الحامل الثقافي للتصور الغربي مع

---

(١) هو وصف يطلق للفئة التي تقول :إن النصوص الدينية لها معنيان: أحدهما ظاهر يفهمه الناس بواسطة اللغة، وبمعرفة أساليب الكلام، والثاني باطن لا يدركه إلا الذين اختصهم الله بهذه المعرفة، وهم يَصِلُون إلى إدراك هذه المعاني المحجوبة عن عامة الناس بتعليم الله لهم مباشرة.. أنظر: محمود عكام،(١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م). الموسوعة الإسلامية الميسرة - ج ٣. دمشق: دار صحارى. صفحة ٤٨٣.

(٢) حقيقة اللبرالية مرجع سابق صفحة ٤١٤.

(٣) دافيد فرومكين، مؤرخ، ومحام أمريكي متخصص في القانون الدولي، وعضو مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية، له عدة كتب منها: «استقلال الأمم» (١٩٨١م.) ، وكتابه الأبرز والأكثر مبيعًا وشهرةً: «سلام ما بعده سلام» (١٩٨٩م.).

صعود الحامل السياسي له في صورة الحكومات التي خلّفها الاستعمار وراءه،، بعد عملية تقسيم قد تكون عشوائية في تفاصيلها إلا أنها تقصد إلى تقطيع اوصال المشرق العربي والإسلامي بصورة تستهلكه تماماً، وتعوقه عن أيَّة فرصة للعودة قوياً قادراً على الصراع مؤهلاً للدفع والغلبة)[١].

أدرك الاستعمار أن الحرب العسكرية مع الدول الإسلامية طويلة وشاقة ومكلفة للخزينة المالية، فعمد إلى أسلوب آخر يكون أقل كلفة وأشد فتكاً، فكانت الحرب الفكرية التي قادها الاستعمار وأذنابه بعد ذلك، إذ إنه يدرك المعنى المهم لفعالية المنظومة الفكرية ومدى تأثيرها(فباتت الوسائل والأدوات الاقتصادية والتجارية والمالية، ثم التقنية والإعلامية والثقافية، أفعل وأفتك وأضمن لأجزل الفوائد والعائدات من وسائل وأدوات القوة والعنف المعتمدة في الماضي)[٢]، فركّز على الأسس المركزية في منظومة بني الإسلام؛ بغية تفكيكها وهدمها، وإحلال نموذج تبعي للمنظومة الغربية عوضاً عن منظومة المجتمع المسلم الأساسية؛ فكان تفكيك هذه المنظومة وتقويضها هو البديل العملي الوحيد، حين أدرك العالم الغربي أن نجاح مجتمعات العالم الثالث في مقاومته يعود إلى بناء أسري قوي، لا يزال قادراً على توصيل المنظومات القيمية والخصوصيات القومية إلى أبناء المجتمع، ومن ثم يمكنهم الاحتفاظ بذاكرتهم التاريخية وبوعيهم وثقافتهم وهويتهم وقيمهم كما يقول المسيري[٣][٤].

---

(١) أنظر: سلام ما بعده سلام ، دافيد فرومكين، دار رياض الريس، الطبعة الثالثة

(٢) العولمة والممانعة، صفحة: ١٧

(٣) عبد الوهاب محمد المسيري، مفكر وعالم اجتماع مصري إسلامي، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين.

(٤) العلمانية الجزئية والشاملة، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، الطبعة الخامسة، صفحة: ٣٣٩/١

- **سلطة النخب العلمانية على الأجهزة الإعلامية:**

بعد أن عرفنا في المبحث السابق بصورة مجملة عن السياق التاريخي لدخول العلمانية للعالم الإسلامي، فسيكون الحديث في هذا المبحث عن تولي زمام المنظومة الإعلامية من قبل نخبة من المتغرِّبين وإحكام السيطرة العلمانية على أساسات الأجهزة الإعلامية في العالم الإسلامي.

(ولما كان المجتمع الإسلامي مغايراً في خصائصه، وتاريخه، ونظرته للكون والحياة للمجتمعات الأوروبية الحديثة، فقد عملت السلطات الاستعمارية على عزل المجتمعات الإسلامية كلية عن ماضيها، وتراثها العقلي والروحي والتوجيهي والسلوكي. ذلك لأنها كانت تدرك أنه إذا ما تم عزل هذه المجتمعات عن كل ذلك، أصبحت قيادتها ميسّرة وطيّعة؛ من أجل ذلك شرع المستعمر الغربي بمجرد أن وطأت أقدامه دار الإسلام يغيّر في التشّريع والتعليم والتربية والتقاليد، كما كانت له اليد الطولى على الكتب والصحف وأجهزة الإعلام)[١]، ولذا فإنه فور رحيل المستعمر عن البلدان الإسلامية، وضع نصب عينيه؛ أن يكون على المراكز الرئيسة في هذه الدول المستقلة- شكلياً- نخبة من أبنائه البررة الذين تولوا زمام السلطات في هذه الدول، وقد كانت العلمانية تتجذر داخل المجتمعات والهياكل الرئيسة في الحكم عبر مسارين:

---

(١) فلسفات الإعلام الوضعية المعاصرة، دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري، صفحة : ١٣٦

- **المسار الأول : صناعة النخب العلمانية.**
- **المسار الثاني: بناء المؤسسات العلمانية الحاكمة والمسيطرة، وجعل هذه النخب على رأس هذه المؤسسات وكذلك في جميع أركان الدولة، بحيث تصبح النخب العلمانية قابضة على أزِمّة الأمور في جميع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والفكرية الثقافية.**

فقام المستعمِر من خلال هذه الخطوة من التمكين للطبقة المتعلمنة ،ووضع على قمة السلطة السياسية والحكومة ثلّة من أبناء البلد قد رباها وصنعها على عينه، وضرب بينها وبين دين المجتمع وأخلاقه ولغته وثقافته سياجاً وحصناً حصيناً، تقوم بعلمنة المجتمع؛ عبر تشبعه بأخلاق المستعمِر ولغته وثقافته؛ حتى لا يبقى فيها محل لشيء آخر[1]، ولما كانت الأفكار المستوردة هي الحاكمة على المنظومة الفكرية للدول الإسلامية فكان من الطبيعي أن تكون المؤسسات الإعلامية تتبع لمنظومة الأفكار المستوردة وعلى رأسها العلمانية. فقد وقع الإعلام مبكراً تحت سيطرة التغريبيين لمجتمع المسلمين، لترويج الفكر العلماني الوافد من أوروبا، والأهم لمخطط التّغريب الذي يُطبّق واقعاً على الأرض، بل إن نشأة الإعلام كانت بأيدي غير المسلمين، وكذلك الفن والمسرح والسينما، وأدّت هذه التبعية الكاملة لتبعية أخرى في النظريات الغربية في الإعلام، (فقد اعتمدت معظم المعاهد الإعلامية العربية على قواعد إحدى مدرستين إعلاميتين:

١- المدرسة الفرنسية في دول المغرب العربي.

---

(١) أنظر: التحولات الكبرى، مرجع سابق، ص(٦٥-٧٤).

٢-المدرسة الأمريكية في دول المشرق العربي لا سيما مصر ولبنان.

وهذا يعني الاعتماد على الدراسات الأجنبية أساساً للتعليم الإعلامي)[١]

وهكذا تمكنت طبقة من النخب العلمانية من المجال الإعلامي لمعظم الدول والتحكم فيه وفي الرسائل التي يوجهها والمنظومة الفكرية الغربية المُراد منه صنعها داخل المجتمعات الإسلامية.

- **ملكية الصناعة الإعلامية والهيمنة الغربية:**

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م صعدت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كقوتين عظميين على مستوى العالم، وفي خلال هذا الفترة نشبت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، وبحلول العام ١٩٩١م انهار الاتحاد السوفيتي وتفكك إلى دويلات متعددة، وصعدت الولايات المتحدة كقطب أوحد في الهيمنة العسكرية والفكرية في العالم أجمع، هذا السقوط المدوي للمنظومة الاشتراكية التي كانت تحكم الاتحاد السوفييتي، هيّأ الجو لاستقبال أطروحتين مهمة في المسار السياسي والعالمي، وإعادة بناء النظام العالمي الجديد:

- **الأطروحة الأولى: نهاية التاريخ لفوكوياما[٢].**
- **الأطروحة الثانية: صدام الحضارات لهنتجتون[١].**

---

(١) فلسفات الإعلام الوضعية، مرجع سابق ، صفحة: ١٤٢

(٢) فرانسيس فوكوياما: من أشهر وأبرز المفكرين السياسيين الأمريكيين، فيلسوف وأقتصادي سياسي، عمل في قسم العلوم السياسية بمؤسسة راند وأستاذ السياسة العامة بجامعة جورج ميسن، له عدد من المؤلفات منها: النظام السياسي والاضمحلال: من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية (٢٠١٤)، أمريكا على مفترق طرق: الديمقراطية، السلطة، وميراث المحافظين الجدد (٢٠٠٦)، مستقبلنا بعد البشري: عواقب ثورة التقنية الحيوية (٢٠٠٢)، الثقة: الفضائل الاجتماعية و تحقيق الازدهار (١٩٩٥)، الخلل الكبير: الطبيعة البشرية وإعادة بناء النظام الاجتماعي (١٩٩٩)، وأصول النظام السياسي.

تشير الأطروحة الأولى (**نهاية التاريخ**): إلى أنه بعد سقوط المنظومة الاشتراكية للاتحاد السوفيتي والتي كانت العدو اللدود للرأسمالية الغربية؛ فإن العالم قد وصل لنهاية التاريخ، وأن الديمقراطية الليبرالية هي التي ستحكم هذا الكون، وأن القيم الغربية ستكون هي القيم العالمية، وهي المعيار والمرجعية الشرعية لكل فرد على هذه المعمورة. ويشير فوكوياما في أطروحته إلى أن الإسلام يُشكل نظاماً أيدلوجياً متماسكاً، وله نظام أخلاقي خاص وعقيدة ذات مرجعية في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن الإسلام بدرجة ما، سيهدد المنظومة الرأسمالية الغربية، ولذا يُحذر فوكوياما من أن الإسلام يشكل تهديداً للغرب .

وتشير الأطروحة الثانية (**صدام الحضارات**): وهي مضادة لأطروحة نهاية التاريخ، تشير إلى أنه بعد الحرب الباردة لم ينته الصراع بعد بين الشرق والغرب، وأن الصدام سيكون بين جماعات وحضارات مختلفة، فالصدام هنا صدام ثقافي ديني بين أفراد هذه الحضارات، ويشير هنتجتون في هذا الصدد إلى أن أخطر صراع سيكون في هذه الصراعات الحضارية؛ هو الصراع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي.

تتفق الأطروحتان السابقتان في التحذير من المنظومة الفكرية الإسلامية، وأنها تشكّل خطراً على الغرب المسيحي، وأنه لابد من التحرك لتقويض هذه العقيدة المضادة (فالأطروحتان اللتان تستشرفان مستقبل العلاقات الدولية والنظريات الحاكمة له تقف هذا الموقف من الإسلام، وبالتحديد من المكونات الصلبة في منظومة القيم والمعاني الثقافية التي يقدمها الإسلام،

(١) صامويل هنتجتون: مفكر سياسي أمريكي، بروفسور في العلوم السياسية في جامعة هار فورد، ترأس عدة مراكز بحثية أمريكية، من كتبه: من نحن؟ ، تحديات الهوية القومية الأمريكية.

وكلاهما يرى في الإسلام تحدياً ولو بدرجة ما، والتحديات تتطلب استجابات، والاستجابة تتطلب رؤى وتصورات وأفكار، والتصورات والرؤى والأفكار تصوغها الأجهزة المعرفية وتبثها الوسائل الإعلامية)[1].

في خضّم هذه الهيمنة الإمبريالية لم يكن متاحاً لأي تصوّر ممكن، بأن يخالف منظومة التصوّر الغربي وأفكاره الثقافية، وقد كانت الأجهزة الإعلامية في غضون هذه الحملة الجديدة تقع تحت عاتق بضع رجال من الرأسماليين، واحتكار جلّ الشركات والمؤسسات الإعلامية في العالم، فالإعلام في العصر الحديث هو القوة الجديدة في بث أفكار الرأسمالية الغربية وتحقيق العوائد المالية الضخمة للمستثمرين في هذا القطاع نظراً لما يشكّله من أهمية، ولذا خضعت الأجهزة الإعلامية على مستوى العالم، والعالم الإسلامي بشكل خاص، لطبقة من التجار تملّكت السوق الإعلامية وسيّرته وفق رؤاها وتصوراتها، وهذا أحد الأهداف المركزية من مشروع العولمة في النظام العالمي الجديد بحيث يحكم هذه المعمورة تصور واحد في القيم والثقافة والأفكار، (وفي تلك الفترة انطلقت مفاهيم أساسية إعلامية من قبل الساسة والكتّاب المقرّبين من البيت الأبيض، مثل: (النظام العالمي الجديد، وصراع الحضارات، والعولمة، والشرق أوسطية، والحرب الكونية المقدّسة ضد الإرهاب)، تلك المفاهيم التي شكّلت لاحقاً الأساس النظري والعمل لفرض قوة أمريكا السياسية والإعلامية الموازية والمعبرة عن القوة الاقتصادية والعسكرية في أرض الواقع)[2].

---

(١) صورة الإسلاميين على الشاشة، أحمد سالم ، مركز نماء، الطبعة الثانية، صفحة ٣٤

(٢) احتكار الإعلام في السياسة الأمريكية، صباح ياسين ، العرب والإعلام الفضائي، مجموعة مؤلفين، صفحة ٩

بالتالي خضعت المؤسسات الإعلامية تحت ملكيات خاصة لكبار الملّاك ورجال الأعمال كما ذكرنا، ولم تكن التصورات المطروحة في هذه الفضائيات المملوكة ببعيدة عن التصور الغربي للقيم والثقافة والأفكار، فقد كرّست هذه الطبقة من خلال قنواتها لتبعية اخرى في كل شيء بدءاً من الأفكار المستوردة وانتهاءً إلى العري والسفور والانحلال.

هذه التبعية المحضة جعلت إدوارد[١] سعيد يصفها بوصف في غاية الدقة ويبيّن عمق خطرها على الشأن الإسلامي فيقول:(فأجزاء عديدة من العالم الإسلامي تغرق الآن في برامج تلفزيونية من إنتاج الولايات المتحدة. ذلك أن المسلمين، شأنهم شأن جميع سكّان العالم الثالث، يعتمدون غالباّ على جماعة صغيرة من وكالات الأخبار، مهمتها نقل الأخبار وإعادتها إلى العالم الثالث، حتى في العدد الكبير من الحالات التي تكون الأخبار فيها عن ذلك العالم. لقد تحوّل العالم الثالث عامّة، والبلدان الإسلامية خاصة، من مصدر للأخبار إلى مستهلكين للأخبار، ولأول مرة في التاريخ يمكن القول إن العالم الإسلامي يتعلم عن نفسه؛ عن طريق تصورات وتواريخ ومعلومات مصنوعة في الغرب**!)**[٢]، ومن هذا يتبين حجم الخطورة الهائلة وعمق الحرب المبطنة تجاه دول العالم الإسلامي عن طريق المؤسسات الإعلامية وملّاكها.

وفي هذا الصدد (تشير الإحصاءات الصادرة عن اتحاد إذاعات الدول العربية لعام ٢٠٠٩م عن وجود ما يزيد عن ٦٩٦ قناة تابعة لحوالي ٣٩٨

---

(١) إدوارد وديع سعيد: ناقد أدبي فلسطيني يجمل الجنسية الأمريكية كان أستاذاً جامعياً للغة الإنجليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في الولايات الأمريكية المتحدة ، ويعد من الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية، له عدد من المؤلفات منها: الاستشراق والكولونيالية: هو خطاب نقدي يتناول الآثار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي خلفتها الدول الاستعمارية على الشعوب والدول التي خضعت للاستعمار، يرتكز هذا الخطاب على فكر ما بعد الحداثة الذي يربط ما بين نظرية المعرفة وعلاقات القوة في المجتمعات.

(٢) تغطية الإسلام، إدوارد سعيد، ترجمة سمير خوري، الطبعة الأولى، دار الآداب، صفحة :١٤٧

هيئة، منها ٢٦ هيئة حكومية، و٣٧٢ هيئة خاصة ... ويفيد التقرير أن هذه القنوات موزعة على تخصّصات متعددة تاتي في مقدمتها الموسيقى والمنوعات بمجموع ١١٥ قناة، وبنسبة بلغت ٢٣,٤ بالمئة، ثم تأتي بعدها قنوات الدراما والسينما والمسلسلات ب ٥٨ قناة، ثم القنوات الرياضية بمجموع ٥٦ قناة. والقنوات الإخبارية ب٣٤ قناة.. ومع حلول عام ٢٠١٣م بلغت عدد القنوات أكثر من ١١٥٠ قناة)[١].

لقد سيطرت الطبقة الرأسمالية من التجار ورجال الأعمال على معظم القنوات والفضائيات وخضعت تلك القنوات تحت أجندة ملّاكها، وبلغت نسبة الفضائيات المملوكة في الوطن العربي -على سبيل المثال- من قبل الملّاك والقطاعات الخاصة إلى ما يربو على ٩٠ في المئة من الاستحواذ على هذا القطاع المهم، و(برزت مجموعات إعلامية عربية ضخمة تحتكر صناعة الإعلام، وتتجه أكثر نحو برامج التسلية والترفيه، وتستهدف بالدرجة الأولى الشريحة الشبابية، مع الاهتمام بموضوع الجنّدر(٢)، أو النوع في استمالة المشاهدين، ضمن ثلاثية ميردوك[٣] الشهيرة(الفضيحة – الرياضة- الجنس)، أو ما يُعبر عنه في الدراسات الإعلامية بالS3 أو ثلاثية الجنس والموت والطرافة)[٤]. ولذلك يجب أن لا نستغرب عندما نجد ذلك الحلف القذر القائم بين رأس المال والأساطير الإعلامية الكبرى في الغرب، حيث كشفت دراسة سويسرية على أن سبع إمبراطوريات إعلامية

---

(١) البث الفضائي العربي ضمن الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، صفحة :٧٦

(٢) مصطلح ظهر في السبعينيات مِن هذا القرن، والجندر Gender كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني، وتعني في الإطار اللغويGenus ؛ أي: (الجنس من حيثُ الذكورة والأنوثة)، يستخدمه دعاته للمساواة المطلقة بين الذكر والأنثى، وإلغاء الخصائص البيولوجية المميّزة لكل منهما عن الآخر.

(٣) كيث روبرت مردوخ هو رجل أعمال أسترالي أمريكي يعتبر قطب من أقطاب التجارة والإعلام الدولي.

(٤) فضاءات الشباب في الفضائيات العربية، محمد شطاح ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، صفحة ١٧٨.

يملكها سبعة أشخاص – إثنان منهم يهود- هي التي تسيطر على الإعلام في العالم، ومنها أربع في الولايات المتحدة، وواحدة في كل من فرنسا ألمانيا واليابان، تجاوزت مبيعاتها (٢٤٧,٥٥) مليار دولار. حيث تأتي شركة تايم وارنر الأمريكية في نيويورك في المرتبة الأولى بين المجموعات الإعلامية السبع بمبيعات تجاوزت ٤١ مليار دولار في عام ٢٠٠١م ، وفي المرتبة الثانية شركة والت ديزني الأمريكية بمبيعات تجاوزت ٢٥,٣ مليار دولار في عام ٢٠٠١م، وصاحبها هو اليهودي ميشيل آينزير، وفي المرتبة الثالثة مؤسسة نيوز كوروبوريشن بمبيعات ١٧ مليار دولار، وصاحبها هو اليهودي روبرت مردوخ والذي يمتلك شبكة واسعة من الإعلام في أوروبا وكندا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية، وتسيطر من خلال ذلك الولايات المتحدة عن ٨٠ في المئة من الصور المبثوثة حول العالم[١].

لقد استخدمت وسائل وأجهزة الإعلام من قبل ملاكها كأداة لتحقيق السلطة والنفوذ، كما استخدمت من قبل البعض الآخر كأداة لجني الأرباح (سيأتي تفصيلها في المبحث القادم). وفي هذا الصدد تساءل الفيلسوف الفرنسي بورديو[٢] عمّن يمتلك المعلومات والمعرفة ويتحكم بالآلة الإعلامية؟ وكانت الإجابة أن الأجهزة الإعلامية خاضعة لرؤى الممولين وأرباب الأموال لهذه القنوات، يقول بورديو:(من الحقيقي كذلك القول بأن الذي يمارس الضغط على التلفزيون هو المحدد الاقتصادي، هذا يعني أنه لا يمكن السعي لقول شيء عبر التلفزيون غير ذلك الذي يتحدّد من قبل أولئك

---

(١) المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، عبداللطيف الغامدي، مركز تأصيل للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، صفحة : ٦٧٩

(٢) ببير بورديو: من أبرز علماء الاجتماع الأوربيين، وفيلسوف وناقد فرنسي، كان عضواً في عضو في الأكاديمية الأوروبية للعلوم والآداب، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، توفي عام ٢٠٠٢م.

الممولين لهذه القنوات)[1]، وفي حقيقة الأمر فإن(القنوات الإعلامية غالباً ما تكون مملوكة لشركة واحدة، أو مجموعة من الشركات التجارية التي ترتبط مصالحها بالنظام بشكل أو بآخر)[2].

وفي هذا المقام كانت النتائج التي برزت من خلال هذه التبعية والسيطرة على مناخ الإعلام من قبل أصحاب المذاهب الهدّامة، تبعث على مزيد من الانحدار الاخلاقي والتحرر من كل ما هو قديم وشرعي، ومحاولة ضرب الثوابت والقيم المتأصلة داخل تكوين ووعي المجتمعات الإسلامية، ونُبرز أهم تلك النتائج فيما يلي:

- أن وسائل الإعلام في ظل الفلسفة العلمانية كانت تستغل قوتها في خدمة أهدافها الخاصة، فقد كان أصحابها يروجون لأفكارهم وآرائهم في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها.
- أنها قاومت التغيير الاجتماعي؛ فأبقت حالة المجتمعات ملحوقة بالتبعية الغربية ولا تكاد تفتؤ عن مقاومة كل حالة للمقاومة للخروج من هذه التبعية.
- أنها عرّضت منظومة القيم لخطر شديد جرّاء التطبيع مع القيم الغربية مما تبثّه يومياً في فضائياتها.
- سيطرة قنوات التسلية والترفيه في الفضائيات العربية والإسلامية عموماً، وذلك لجذب أكبر عدد من المشاهدين، بالتالي يكون الإعلام في ظل هذه الفلسفة النفعية متخلياً عن مسؤوليته التي من المفترض أن يتضلّع بها.

---

(١) صناعة الواقع ، الإعلام وضبط المجتمع ، محمد علي فرح، مركز نماء، الطبعة الأولى صفحة: ٣٣٥

(٢) عن التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول ، بيير بورديو، ترجمة درويش الحلوجي، الطبعة الأولى صفحة : ٤٤

- توسع ظاهرة الاحتكارات والمجموعات الإعلامية.

وسنتحدث عن مزيد من التفصيل لهذه النتائج في المبحث الثاني.

على مدار قرنين من الزمن على الأقل، كان مديروا المشروعات الرأسمالية هم من يسيطرون على العالم؛ فهم من كانوا يفصلون الممكن عن غير الممكن، والعقلاني عن غير العقلاني، والمعقول من غير المعقول، بل هم من كانوا يحدّدون ويرسمون نطاق البدائل التي تنحصر فيها مسارات الحياة البشرية. ومن ثمّ فإن رؤيتهم للعالم، والعالم الذي تشكّل وفق رؤيتهم، هي من كانت تغذّي الخطاب المهيمن وتؤكد حقيقته كما يقول عالم الاجتماع البولندي زيجمونت باومان[١].[٢]

نصل هنا إلى نتيجة مفادها أنه من خلال سياق تاريخي طويل عبر عقود متطاولة منذ دخول المستعمِر إلى البلدان الإسلامية وتسلّمه مقاليد الأمور فيها مروراً بخروجه المباشر من هذه الدول، وانتهاءاً بتخّليف شرذمة من أذنابه على المؤسسات الحكومية لتلك البلدان، ومن خلال عملية مركبة ومتفاعلة مع السياق السياسي العالمي، تولت الأجهزة والإدارات الإعلامية مجموعة من العلمانيين الذين تولوا مهمة تشكيل وتكوين الثقافة للشعوب الواقعة تحت يديها، وأن تلك الطبقة من رجال الأعمال كانت تنطلق في مرتكزاتها من منطلقات علمانية صِرفة في هذه الفضائيات وما يُبثّ فيها، فهي لا تحتكم لمرجعة دينية أو شرعية، بل محتكمة لمرجعية غربية في

---

(١) زيجمونت باومان : ولد ١٩٢٥، عالم اجتماع بولندي، بروفسور علم الاجتماع في جامعة ليدز، لديه ما يزيدعن ٥٠ كتاب .

(٢) زيجمونت باومان ، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية، صفحة ١٠٦.

أفكارها وتصوراتها ورؤاها، ولذا سنتناول المبحث القادم الرؤية الفلسفية التي تقوم عليها هذه المؤسسات الإعلامية؛ لنرى العلاقة بين هذه الفلسفة وازدياد عنفوان الشهوات والشبهات والانحلال في هذا الشهر المقدّس، بعد أن عرضنا السياق التاريخي لدخول العلمانية في عالمنا الإسلامي ووصول ثلة من المتعلمنين لسلطة وأجهزة الدولة الحديثة.

المبحث الثاني: فلسفة المنظومة الإعلامية في العصر الحديث.

- الأسس الفلسفية للعلمانية
- الفلسفة الإعلامية في العصر الحديث

ترتكز فلسفة المنظومة الإعلامية في العصر الحديث في تكوينها وبنائها إلى مرتكزات وأُسس علمانية، وهذه الأسس هي المحرّك الفعلي لأرباب الصناعة الإعلامية، والمنطلقات التي تسير وفقها، ولذلك قبل أن نخوض في الرؤية والفلسفة المكونة لتلك المنظومة في العصر الحديث، إذ أننا سنتعرف أولاً على الأسس الفلسفية للعلمانية، وبناءات هذه الفلسفة، وعلاقتها بالدين والشرائع، إذ إننا من خلال هذه النظرة الفاحصة، للأسس والمبادئ والأفكار التي تقوم عليها الفلسفات الإعلامية، سيتّضح لدينا بجلاء، العلاقة بين كسر المقدّس الرمضاني، ومحاولة الإبعاد الكلّي أو الجزئي عن التمسّك بالعبادات والشعائر، والقرب من الرب في هذا الشهر الفضيل.

- **الأسس الفلسفية للعلمانية:**

حينما نتطرق لمفهوم العلمانية وأساساته التي يُبنى عليها، فإننا ندرس المراحل التي شكّلت وجود هذه الفلسفة ؛ فمنشأ العلمانية كان في الغرب، وكان نتيجة نشوئه لعوامل متعددة ومركبة ساهمت في تكوين هذا المفهوم نعرض أهمها بشكل مجمل ومختزل:

- فقد عانت أوروبا خلال سنوات طويلة من انحراف ديني وتحّريف للكتاب المقدّس بالإضافة لسلطة كهنوتية تعتبر الكنيسة هي الناطق باسم الدين، واحتكار رجال الدين لحق قراءة وتفسير الإنجيل، ثم مهزلة صكوك الغفران، التي شملت الدين النصراني؛ مما ولّد فيما بعد ردة فعل مضادة لهذا الكهنوت، وهي حركة الإصلاح

البروتستانتي بقيادة مارتن لوثر[١] إلا أن هذه الحركة الإصلاحية، فشلت في جوانب متعددة ووقعت فيما عابته على الكنيسة، فأبقت على الانحراف الكنسي، والتحالف مع الحكومات الاستبدادية، ومحاربة العلم والتطور، واستمرار فتيلة الحروب الدينية[٢].

- كذلك كان من الويلات التي طالت تلك الشعوب، هو الاستبداد السياسي، فقد كان يحكم المجتمع في العصر الوسيط (نظام الإقطاع)، وهو نظام مستبد، ظلمَ وطغى وتجبّر على قمع واستعباد المجتمعات الأوروبية آنذاك.
- وكان أحد الأسباب كذلك تطور الوعي الأوروبي في القرن الثاني عشر، "فقد شهدت الحالة الأوروبية تطورات علمية وفكرية، وروحية، وعمرانية، وتجارية كبيرة، حتى غدا بعض المؤرخين بعدُّ ذلك العصر نقطة تحوُّل في مسيرة التاريخ المسيحي، وسماه بعضهم:(عصر النهضة الأول)"[٣].

كان نتيجة هذه الانحرافات والاستبداد أن تولّدت ردّات فعل مضادة تجاه الدين في الغرب، فجاءت مرحلة الحداثة عبر العصور التالية لتقوم بهدم أُسس الدين وتقويضه "ومن ثمّ يتبيّن أن مراحل الفكر الغربي التي مرّ بها من "الإصلاح إلى الإحياء إلى النهضة إلى الأنوار" كانت لتأسيس العقل المستقل عن الدين وتجذيّر الانفصال عنه، فلما اكتمل ذلك التأسيس عاد الفكر الغربي في مرحلة الحداثة إلى **"التراث/الماضي"** لتجذيّر القطيعة

(١) مارتن لوثر راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران.
(٢) أنظر: العلمانية نشأتها و تطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، الباب الأول ، د.سفر الحوالي.
(٣) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. د سلطان العميري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، صفحة: ٥٨/١.

معه وليس مجرّد الانفصال عنه، ولإعادة صياغة قراءته ضمن مناهجها وأدواتها للسيطرة عليه وإدخاله في سياقها؛ ليتمّ إنزاله عن منزلة الندّية بعد أن تمّ إنزاله عن منزلة الهيمنة التي كان عليها قبل أزمنة(النهضة)"[١].

ومن رحم هذه الحداثة جاءت العلمانية كمفهوم إلحادي مُقصي للدين كلياً أو جزئياً، ويتعامل مع المقدّس معاملة الندّ للندّ، ولذا فإن أبرز الأسس الفلسفية التي بُنِيت عليها العلمانية هي:

١- نزع سلطان المقدّس عن الوعي الإنساني وإقصاء كل ما هو ديني بشكل كلّي أو جزئي.

٢- الدنيوية والمنفعة، وعلى الإنسان أن يبحث عن اللذة والمنفعة في الدنيا أنّى كانت وكيف كانت.

٣- احتكار المعرفة داخل النطاق الإنساني، ونفي كل الغيبيات والماورائيات والآخرة[٢].

٤- النزعة الإنسانية أو (العقلانية)"التي تؤمن بأن العقل الإنساني قادر على كل شيء، والإنسان مقياس كل قيمة، ومعيار كل المبادئ، وميزان كل الأفكار، وأنه هو الذي يصوغ حياته بما يشاء، والإنسان هو الموجود الأعظم في هذا الكون، وله السيادة الكونية التي يجب أن يخضع لها كل شيء"[٣]

---

(١) موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، د. محمد حجر القرني، مجلة البيان للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، صفحة: ٥٢.

(٢) أنظر: العالمانية طاعون العصر، مرجع سابق ، صفحة : ٩٦-٩٧.

(٣) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، مرجع سابق ، صفحة: ١/ ٢٤٨

٥- الفردية: وهي تعني "أن الإنسان لايمكنه أن يصبح فرداً حراً وتتحقق له الذاتية المطلقة، إلا إذا كفّ عن تصور عالم الألوهية؛ أي: عندما يصير إنسان نفسه لا إنسان إلهه وفرد ذاته لا فرد ربه"[١].

وبهذا نقول هنا بأن العلمانية هي:(مبدأ يقوم على إنكار مرجعية الدين أو سلطانه في تنظيم شؤون النّاس، بعضها أو كلها، انطلاقاً من مرجعية الإنسان لإدراك الحقيقة والمنفعة في هذا العالم"[٢].

إن هذه الأسس التي تُبنى عليها هذه الفلسفة الإلحادية، هي النموذج التفسيري لكسر المقدسات الدينية، وإن أيّ منظومة تتبنى هذه الفلسفة ستؤول بطبيعتها لنتائجها، وهو ما سنراه في الرؤية الإعلامية وعلاقتها بنزع القداسة عن رمضان وتسلّط المدنس في هذا الشهر المقدّس، ولذا فإن العلمانيين بأجمعهم من الشرق والغرب اشتدت ضراوتهم في محاربة الدين والطعن في مقدساته، فكل من تبنّى هذه الفلسفة كمفهوم فهو قد أعلن -ولو كان مُضمِراً هذا- الحرب على المقدّسات، فإن الطعن من هذه الفئة قد شمل القرآن الكريم، والشرائع والأحكام، والسنّة المطهّرة وحُجّيتها، والتوحيد والعقيدة والمعاد، وما إلى ذلك، كل هذا تم الطعن فيه وهي نصوص وأحكام مقدّسة في دين الإسلام، ومن هنا يأتي الطعن الآخر في المقدّس الزماني ألا وهو شهر رمضان الفضيل، فكما أن الطعن بدأ يتزايد على مقدسات الإسلام النصّية، فقد جاءت الآلة الإعلامية بأساسها العلماني؛ لاختراق وطعن مقدّس الإسلام الزمني وهو أعظم الشهور، ومن هنا

(١) نموذج الحداثة وما بعدها في الفكر العربي الحديث، مرجع سابق ، صفحة: ١٨
(٢) العالمانية طاعون العصر، مرجع سابق، ص٩٩.

سنشرع في تبيين فلسفة المنظومة الإعلامية ونفيها للمقدّسات والمرجعيات عموماً.

- **الفلسفة الإعلامية في العصر الحديث:**

هناك علاقة مهمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بين أساس المنظومة التي يرتكز عليها الإعلام (العلمانية)، وبين الوظائف التي ستضطلع بها الأجهزة الإعلامية بناءً على تلك الرؤية، فإن كانت العلمانية كأساس ومفهوم كما رأينا يهمّش الدين ويقصي الأخلاق ويقول بنسبيتها، وينادي بالمنفعة المادية؛ فهذا بدوره سينعكس على وسائل الإعلام التي يتبناها أرباب الأموال ممّن ينطلقون من عقيدة العلمنة كأساس لهم في الصناعة الإعلامية. فإن من أهم الأسس الفلسفية التي ترتكز عليه هذه المنظومة الإعلامية بمرجعيتها العلمانية هي حرية الممارسة الإعلامية. فالحرية الإعلامية في ظل هذه الفلسفة مُشْرعة على مصراعيها دون قيود أو حدود، وكل شيء جائز في ظلّ هذه الفلسفة التي يسمّيها المسيري "الإباحية المعرفية" حيث لا حرمات ولا مطلقات.

في هذا السياق ترتبط الفلسفة الإعلامية في عالمنا العربي والإسلامي بمشروع العولمة الغربي، فالعولمة هنا عولمة ثقافية تخترق ثقافات الشعوب وتتصارع مع هوياتها، إذ الصراع في العقود الأخيرة كما يحدده هنتجتون يرتبط بمعاني مثل(الثقافة- الدين- الهوية)، هذه المفاهيم ترتبط ارتباطاّ وثيقاّ مع العولمة في عصرنا الحاضر. فكان من أهم آليات العولمة هو عولمة الإعلام حيث يتم

"تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتّلات الرأسمالية(عابرة للجنسيات) التي تستخدم وسائل الإعلام كحافز للإستهلاك على النطاق العالمي"(١) وفي هذا يقول هربرت شيللر(٢):"إن مضمون الإعلان الغربي يدفع إلى التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات الوطنية أو القومية"(٣).

ويؤكد عبدالإله بلقزيز(٤) على أهمية السيطرة على الإعلام من قِبل القوى العظمى في عصر العولمة، والمصالح المرجوة من ذلك فيقول:" لمّا كانت المادة الثقافية (المكتوبة والمسموعة والمشاهدة) سلعة قابلة للتداول ولدرّ الأرباح، فقد كانت السيطرة على المادة الثقافية: صناعة وتسويقاً في جملة أهداف السياسة العولمية الكبرى. وما الإنفاق الخيالي على برامج الإعلام الفضائي في الغرب، منذ ميلاد (الCNN) قبل عقود إلا المثال الأجلى عمّا عنته المادة الثقافية في استراتيجيات العولمة من رهان ربحيّ ومصلحي بعيد الأثر والفائدة"(٥).

لقد أصبحت نتيجة التبعية العولمية واقعاً في الفضائيات الإسلامية والعربية بشكل خاص،" فنسبة كبيرة من البرامج التي تقدمها الفضائيات العربية تحاول فيها تقليد الغرب، إذ إن نسبةً لا بأس بها منقولة تماماً من برامج أجنبية، وكأن قريحة الإبداع العربي قد تعطّلت واكتفت بالاقتباس وإعادة ما تم إبداعه من قبل الغرب في قنواتهم الفضائية... حيث أكدت دراسات اليونيسكو أن المحطات

---

(١) الإعلام الفضائي والتغريب الفضائي، لمياء طاله، صفحة: ١٠٧

(٢) هربرت شيللر، هو عالم اجتماع أمريكي، ومؤلف وناقد وباحث، حصل على الدكتوراه من جامعة نيويورك عام ١٩٦٠.

(٣) المتلاعبون بالعقول، هربورت أ.شلير، ترجمة: عبدالسلام رضوان، عالم المعرفة، الطبعة الأولى.

(٤) عبد الإله بلقزيز كاتب مغربي معاصر حاصل على شهادة دكتوراه الفلسفة من جامعة محمد الخامس بالرباط. ويشغل منصب أمين عام المنتدى المغربي العربي في الرباط، وهو أيضاً مدير الدراسات في "مركز دراسات الوحدة العربية" في بيروت سابقاً

(٥) العولمة والممانعة، مرجع سابق صفحة:٢٣

العربية تستورد من الدول الأجنبية، وخصوصاً الولايات المتحدة، ما بين ٤٠ بالمئة و٧٠ بالمئة من مجموع برامجها.... وقد بلغت نسبة البرامج الترفيهية- على سبيل المثال- في معظم الفضائيات العربية إلى ٨٨% بالمئة"[١].

وبشكل عام فإن "أكثر من ثلثي الإنتاج التلفزيوني العربي مستورد من دول غربية، في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة ٤٠في المئة، تليها فرنسا بنسبة ٨ في المئة، تليها بريطانيا بنسبة ٥ في المئة، ثم اليابان ٤,٥ في المئة، وتليها ألمانيا بنسبة ٣ في المئة، فضلاً عن استيرادها لبعض الأفلام والمسلسلات التلفزيونية من الهند وأمريكا اللاتينية وغيرها من دول العالم النامي"[٢]

" إن المحلل لبرامج القنوات الفضائية العربية يجد أن معظم القنوات الفضائية غلب على إنتاجها الطابع الترفيهي المقلّد لما ينتجه الغرب، والدليل على ذلك ال(فيديو كليب) الذي يبثّ على القنوات الفضائية العربية، والذي تقدم فيه المرأة على أنها سلعة للعرض وجذب الأنظار نحوها من أجل الترويج للسلع الاستهلاكية التي يكون الهدف من ورائها دائماً الربح السريع"[٣]

"إن مضمون هذه الأيدلوجيا التي تتمّ عولمتها يحدده شيللر تحديداً دقيقاً بقوله: "ألوان الترفيه والتسلية المنتجة تجارياً، هي الأدوات الرئيسة لنقل قيم الرأسمالية الأمريكية القائمة على الشركات العملاقة وأساليب حياتها.. إن ما يشاهده الناس، وما يقرأونه، أو ما يستمعون إليه، وما يرتدونه، وما يأكلونه، والأماكن التي يذهبون إليها، وما

(١) الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، مرجع سابق ، صفحة: ٧٩-٨٢
(٢) الإعلام الفضائي والتغريب، مرجع سابق، صفحة: ٢٦٧
(٣) الإعلام وتشكيل الرأي العام، صفحة:٨٢

يتصورون أنهم يفعلونه، كل ذلك أصبح وظائف يمارسها جهاز إعلامي يقرر الأذواق، والقيم التي تتفق مع معاييره الخاصّة، التي تفرضها وتعززها مقتضيات السوق"[١]

ولذا كان من أبرز الرؤى والنتائج التي تولّدت من رحم تلك الفلسفة في ظل العولمة الإعلامية هي: أن (أصبحت وسائل الإعلام وسيلة لتحقيق النفوذ، وجني الأرباح).

- **وسائل الإعلام وتحقيق النفوذ وجني الأرباح[٢]:**

خضعت المنظومة الإعلامية في العقود الأخيرة لسيطرة بضعة رجال من الملّاك وأرباب الأموال، الذين جعلوا من هذه الوسائل الإعلامية أداة لتحقيق الأهداف المنشودة لديهم، ونشر وجهات نظرهم على نطاق عالي، وسحق بالمقابل كل الأراء المعارضة لهذه التوجهات، وأصبح جني الأرباح هو الركيزة الأولى في ظل هذه الرؤية بأي طريقة كانت. فظهر " قطاعا الإعلام واللذّة في المجتمع، وهما قطاعان ضخمان رهيبان يصلان إلى الرجال والنساء والأطفال في كل زمان ومكان... وتتدخل في أخصّ خصوصيات حياة الإنسان، وضمن ذلك حياته الجنسية وعلاقة الآباء بأطفالهم وتصوغ صورة الإنسان لنفسه"[٣] وللعالم من حوله.

لقد عملت الأجهزة الإعلامية بفضائياتها على تعميق الاستهلاك في عقول وقلوب المتلقين لها، وارتبط الاستهلاك في العصر

---

(١) المتلاعبون بالعقول، مرجع سابق، صفحة: ٢٠٤-٢١٤
(٢) أنظر: فلسفات الإعلام الوضعية المعاصرة، مرجع سابق، صفحة: ٤١٣ ومابعدها.
(٣) العلمانية الجزئية والشاملة، مرجع سابق، صفحة ٥٥/١.

الحديث ارتباطاً وثيقاً بالآلة الإعلامية، و"الهدف الأكبر أن يُحوّل كل البشر إلى مادة استعمالية إنتاجية استهلاكية، هذا يتم عن طريق الإعلانات ، عن طريق الفيديو، عن طريق إنشاء مدن الاستهلاك واللذّة، وهي رؤية في ظاهرها مركّبة، حيث يمكن للإنسان المستهلك أن يقيم الصلاة في مواقيتها ويحافظ على الشعائر الدينية بالمعنى الأدائي الوظيفي، غير أن أحلامه وغاياته وسلوكه تستوعب تماماً ضمن النظام الاستهلاكي العالمي".[١]

إن الصراع الحقيقي في ظلّ هذه المنظومة كما يقول المسيري " ليس صراعاً بين حضارات، وإنما صراع حضاري، بين من يرون أن الاستهلاك هو الهدف من الوجود وأن من حق القوي أن يستهلك على حساب الآخرين من جهة، ومن جهة أخرى هؤلاء الذين يرون أن الجنس البشري بأسره يجب أن يتكاتف ويتعاون حتى يمكننا أن نعيش في هذه الكرة الأرضية بمصادرها المحدودة"[٢]

هذه المنظومة "حوّلت الإنسان المعاصر إلى إنسان لا يعرف لنفسه معنىً إلا من خلال الاستهلاك للأشياء، وبذلك يموت الإنسان وتحيا الأشياء، تلك الأشياء التي لا يشعر الإنسان بحريته إلا بها، وإن كانت هي سبب شقائه وسبب خضوعه، وإن توهّم أنه لا يخضع لأي سلطة ولذا... يلجأ النظام الرأسمالي إلى آليات

---

(١) الهوية والحركة الإسلامية، سوزان حرفي، دار الفكر، الطبعة الأولى، صفحة: ٢٩
(٢) المرجع السابق

عديدة...وخلق ما يمكن أن يسمى بالحاجات الكاذبة... وهي حاجات تصنعها وسائل الإعلام"[١]

إن الآلة الإعلامية التي تقود هذه المنظومة الاستهلاكية هي من أخطر وسائل العلمنة في المجتمعات" فالاستهلاكية هي أهم شكل من أشكال الاختراق العلماني، فهي تقوّض الأخلاق وتقوّض كل شيء إيجابي في المجتمع، وأنها حين تصبح هي القيمة الأساسية في المجتمع فإنها ستهمّش كل القيم الأخرى أو تستوعبها داخل إطارها، فهمي أهم آلية من آليات العلمنة"[٢].

"لقد حوّل الفكر الرأسمالي الليبرالي الحياة كلها إلى أهداف اقتصادية ومعيار الفضيلة هو الكسب المجرّد، ومقياس الرذيلة هو الخسارة المالية، وهذه هي فكرة تسّليع الإنسان؛ فتسّليعه بمعنى نفي قيمه وروحه وثقافته ودينه، والنظر إليه في كل جهاته بأنه مجال للربح والخسارة المادية المجرّدة"[٣]

إنه وفق هذه الرؤية النفعية كانت النتائج والمآلات المبنية عليها كارثية وضخمة، إذ-كما ذكرنا آنفاً- انتفت المعايير والمرجعيات وأصبح الربح هو الهدف المنشود، فبرزت الأخلاقيات الإعلامية المنحطة المبنية على هذا التصور، فلأجل جذب أكبر عدد من الجمهور؛ يتم التركيز على الانحلال والسفور، وصناعة جنسية لاستقطاب المشاهد، وبرامج حوارية تحكي تفاصيل فضائح للممثلين والفنانين والمشاهر، بل وأصبحت الفضائح الجنسية وفق هذه الرؤية شيئاً عابراً يُمرّر عبر القنوات الإخبارية وبرامج "التوك شو"

---

(١) صناعة الواقع، مرجع سابق، صفحة:١٣٤

(٢) الهوية والحركة الأسلامية ، مرجع سابق ، صفحة: ٩١

(٣) حقيقة اللبرالية، مرجع سابق، صفحة: ٣٠٢

وغيرها مرور الكرام. كما سيطرت مجموعات احتكارية على الشركات الإعلامية، وبدأت تتحكم في منتجات السوق طلباً وعرضاً، فلم ينشأ للإعلام في ظل هذه الفلسفة وظيفته التي كان من الأجدر أن يقوم بها، وتم إقصاء كل رؤية تخالف هدف هذه المنظومة وتعارض توجّهاتها الممقوتة.

"إن من يسقط الحكومات، وبيده الحل والعقد، ليس هو الصحف والقنوات الفضائية، ولا الصحفيون مهما كانت مصداقيتهم، وإنما الشركات الكبرى التي تستطيع عبر الإعلان التجاري أو التحكم في الأسهم وفي مجالس الإدارة، أن ترفع من تشاء من الساسة وتقاوم من تشاء منهم.. وكل الأجهزة الإعلامية تخضع لعدد قليل ممن يملكون الثروة والإمكانات المادية الضخمة"(١). وفي هذا الصدد يشير محمد حسام الدين إلى هدف الطبقة المالكة للآلة الإعلامية في عالمنا الإسلامي من نشرٍ للعري والابتذال وعلاقة ذلك بتوجهات ومصالح أولئك الأفراد ففي "المنطقة العربية الإسلامية .. النخب المتعالية المتفردة ترى في العري الإعلامي المنظّم وسيلة من بين وسائل السيطرة الاجتماعية على أغلب الرعيّة، وكأن هذا العري هو صمام الأمان في خزان البخار الذي يغلي تحت وطأة المظالم الاقتصادية والكبت السياسي"(٢)، وعن عولمة وإشاعة تلك القيم العالمية يقول "بيد أنه في كل المناطق الجغرافية المتنوعة ثقافياً تقوم الطبقة الرأسمالية العابرة القومية التي تقود قاطرة العولمة، بمحاولة

---

(١) مراكز البحوث الأمريكية، ودراسات الشرق الأوسط بعد ١١ سبتمبر، د.هشام القروي، مركز نماء للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، صفحة: ١٦١

(٢) الصورة والجسد ،دراسات نقدية في الإعلام المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى، صفحة: ١٩٨

توحيد المضامين الإعلامية حول العالم، وتعتبر المضامين العارية من بين المضامين التي تحرص الطبقة الرأسمالية العابرة القومية، على انتشارها كوسيلة للإجبار الاجتماعي الكوكبي "[١].

إن هذا الخطر الاستهلاكي لم يبقى حبيس مجال معين، بل شكّل تهديداً حقيقاً حتى على مفهوم الدين والتديّن وحقيقة الإسلام وتشريعاته حيث إن واقعنا المعاصر يشهد نوعاً جديداً من أنماط التدين هو وليد الثقافة والهيمنة الامبريالية الحديثة ونتيجة لمآلاتها، وهذا النوع من التدين يخرج عن الإطار العام للمنظومة الإسلامية وقضايا الدين ومرتكزاته التي يقوم عليها، فنحى هذا النمط نحو نزعة فردية روحية، خاضعة لتكييف الدين وفقاً لمتطلبات الثقافة العولمية الاستهلاكية السائدة . ففي أطروحة باتريك هايني[٢](إسلام السوق)[٣]، يناقش هايني هذا المفهوم بشكل موسّع، حيث يشير إلى أن مصطلح إسلام السوق يستند في الأساس إلى فكرة الربط بين التدين الإسلامي والسوق وأسسه الفلسفية كالفردية والاستهلاكية وغيرها، أي أن قيم الدين الكبرى وأصوله باتت تخضع لقيم السوق والعرض والطلب؛ فتجد أن غاية وجود الإنسان في الأرض بحسب هذا النمط الجديد من التدين هو لأجل النجاح وامتلاك الثروة والاستهلاك والسفر وغير ذلك، وهو منفصل تماماً عن غاية الوجود الأصلية وهي العبودية للمولى جلّ وعلا. ساهم في تجذّر هذا النمط وجود عدد

---

(١) المرجع السابق، صفحة: ٦٧
(٢) باحث سويسري في العلوم الاجتماعية، حائز على جائزة أفضل أطروحة عن الفكر العربي باللغة الفرنسية عام ٢٠٠١م، من كتبه ما بعد الإسلام السياسي بمشاركة مع أولفية روا
(٣) اسلام السوق، باتريك هايني، مدارت للأبحاث والنشر

من الدعاة الإسلاميين الذين انغمسوا داخل هذا المفهوم وصبّوا مفاهيم الدين وأصوله داخل قوالب الحضارة الحديثة وأسسها الفلسفية (العلمانية، الليبرالية، الرأسمالية،...إلخ)، أو بحسب تعبير أوليفيه روا[١]: بعض الأصوات في الصف الإسلامي باتت تضع المفاهيم الإسلامية في إطار المفاهيم الحداثية ما اثمر مفاهيماً رخوة لا أساس لها[٢]، فنحن هنا أمام عملية أسلمة جديدة للقيم الغربية واضفاء شرعية دينية عليها، وهذا هو مكمن الخطر والذي منه تُؤكل الكتف. ولقد ساهم هذا النمط الجديد في اجتياحه للمجتمع إلى تكرّيس النزعة المادية في قلوب بني الإسلام، فترى المجتمع المصبوغ بهذه النزعة خالياً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكلٌ يشرّع لملذاته شرعية دينية بحسب هواه ونزعته الفردانية في تقرير أحكامه الخاصة والعامة وتكييفها مع الواقع.

إذن نخلص هنا إلى نتيجة مهمة مفادها أن مدى نفوذ الاستهلاكية وتوغّل الآلة الإعلامية في العالم أجمع وعالمنا الإسلامي بالأخص قد وصل إلى جذر عميق داخل تكوين إنسان العصر الحديث، فإن الآلة الإعلامية في عصرنا باتت قادرة على اختراق ثقافات الشعوب وتشكيل هوياتها؛ وفق مصالح أرباب الأموال وكبرى الشركات التجارية في العالم، حتى تستمر تدفق الأرباح دون توقف ودون هوادة. يبقى لنا أن نسأل هنا سؤالاً مهماً، ودور هذه الإجابة على هذا السؤال تكشف لنا عن الربط

(١) أوليفيه روا: عالم سياسي فرنسي، وأستاذ جامعي في معهد الجامعة الأوربية في فلورنسا بإيطاليا له عدد من المؤلفات منها: عولمة الإسلام، والجهل المقدس.
(٢) أنظر: تجربة الإسلام السياسي، اوليفية روا، دار الساقي، الطبعة الأولى.

بين حِدّة الإعلام وتسلّطه في رمضان (بالخصوص)، وإغراق الفضائيات بسيل هائل من المسلسلات الساقطة والعري الفاضح والتشويه الممجوج لشعائر الدين، والسؤال هو: من الذي سيقف في وجه هذه المنظومة الإعلامية العالمية بما تحمله من قيم استهلاكية وفحش وانحلال أخلاقي؟

والإجابة عن هذا السؤال ستعطي لنا نموذج تفسيري يكون قادراً بدرجة ما، على تفسير تسلّط عنفوان الشهوات الإعلامية وشهواتها في هذا الشهر الكريم.

إن الجواب عن هذا السؤال بكل بساطة هو الإسلام، حيث إن الإسلام يكوَن بنية كاملة لوعي المسلم وتشكيلاً لثقافته وإدراكه وهويته، والمنظومة الإسلامية تتعارض تعارضاً تاماً مع المنظومة الغربية، فالإسلام كبنية له نظامه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والقيمي السلوكي، يتخّذ مصدرها من تشريع الكتاب والسنة، التي تختلف بدورها مع منظومة التشريع الغربية الوضعية. من هنا كان دين الإسلام كعقيدة هو مفارقة ومفاصلة مع ما يعارضه، ولذا كانت المنظومة العالمية الاستهلاكية في جوهرها معادية لجوهر الإسلام الذي يخالف تلك النظرة "وبهذا المعنى فحرب العالم الإسلامي ضد الاستعمار الغربي هي حرب ذات مرجعية دينية، فالدين هنا ليس مجرّد شعائر وعقائد وإنما هو مكوّن أساسي للرؤية الكونية والسياسية"[١] وعن أحد أهم أسباب معاداة المنظومة الغربية (الاستهلاكية) بآلتها الإعلامية للمنظومة الإسلامية كما يقول المسيري هو أن الإسلام كمنظومة "أصبح بمثابة خط الدفاع الأول ضد عمليات تشيّؤ وإعادة تشكيل

---

(١) الهوية والحركة الإسلامية، مرجع سابق، صفحة: ٣٢

الإنسان والثقافات والحضارات، والتي تشنّها الاستهلاكية العالمية (الإمبريالية الجديد)، ذلك أن إطارنا العقدي لا يزال حيّاً، خاصة بين الفقراء، وهم غالبية الشعوب الإسلامية، فهو يحركنا ويصوغ رؤيتنا وأحلامنا وتوجهاتنا في معظم الوقت، فنحن نشكّل خط المواجهة والمقاومة ضد الاستهلاكية العالمية، فالإنسان المسلم نموذج إنساني للمقاومة، فهو لا يعتبر معدلات الاستهلاك هي النقطة المرجعية التي يستخدمها في الحكم على الأمور، فمرجعيته هي مقدار تحقيقه لقيمه الإسلامية، ومن ثم هذا المسلم إنسان مقاوم للاستهلاكية العالمية، زمن ثم لابد من سحقه"[١].

فمقياس الصدام بين الغرب والإسلام ليس العدد السكاني أو مقياس القدرة العسكرية التدميرية، إنما هو مقياس صدام القيم الإنسانية الإسلامية مع الفكر العنصري الرأسمالي (الاستهلاكي) الذي يريد سحق الشعوب ليسود نمط شعب آخر يستحق قيادة العالم[٢] ، وبما أن الإسلام بما يحمله من معاني وحكم وتشريعات وازمان مقدّسة، فإن من أبرز المقدسات الزمانية في الإسلام هو شهر رمضان، ولذلك سنستعرض علاقة الحرب الإعلامية الضروس بالقداسة الرمضاني في النقاط التالية، لنسبر أغوار الحقيقة الرمضانية الإسلامية والحقيقة الإعلامية الشهواني الاستهلاكية والتضاد في البعد والجوهر بين الحقيقتين.

---

(١) المرجع السابق، صفحة: ٣٠
(٢) أنظر: المرجع السابق.

المبحث الثالث: النماذج التفسيرية للحرب الإعلامية الرمضانية.

- **بين الرمزية الرمضانية والفلسفة الإعلامية العلمانية:**

شهر رمضان الفضيل، من أعظم الأزمنة المقدسة التي جاء بها التشّريع الإسلامي، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٥] ، إن هذا المدلول العميق لفضيلة الشهر الذي ورد في الآية يكشف عن أدق التفاصيل المقدّسة التي حواها هذا الشهر، فهو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، والقرآن هنا يعتبر دستوراً شاملا لتقرير وتشكيل أحكام ورؤية التشريع الإسلامي، فارتباط الشهر الفضيل بالقرآن ارتباطٌ وثيق الصلة، عميق التلازم، يغوص في جذر غويط في معنى الترابط بينهما؛ وهو هنا تلازم بين مقدّس زماني، ومقدّس نصّي، ولذا فإن هذا الدستور السماوي يحوي في ثناياه رؤية تصوغ فكرة الإنسان لنفسه ولمن حوله ولعلاقته بربه، فرمزية الشهر الكريم تُعيد للمسلم هذا الإدراك الكلي للمعنى القرآني، ومعنى العودة للكتاب العظيم وقراءته وتدبّره وتفهّم معانيه، فكلما حلّ رمضان تحلّ معه روح المسلم من جديد، هذه المعاني ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض، فهي ثلاثية الزمان المقدّس والكتاب المقدّس والنفس المؤمنة، فمن رحمة المولى بعباده جلّ وعلا أن جعل من تجديد العبد لإيمانه يتجدد حتى بأزمان مقدّسة، يكون فيها الثواب عظيماّ، والأجر كبيراّ، ولذلك عظّم النبي ﷺ أمر من أدرك الشهر ولم يُغفر له، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة وأنس بن مالك وغيرهم ..رضي الله عنهم :(أن رسول الله ﷺ

ارتقى المنبر فقال: آمين ، آمين ، آمين ، فقيل : يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال : قال لي جبريل : رغم أنف عبد دخل عليه رمضان فلم يغفر له فقلت : آمين ....إلى آخر الحديث)[1]،

فارتباط المقدسين ببعضهما- أي رمضان والقرآن- يجعل المسلم من خلال هذه الثنائية المقدّسة يستحضر معاني كتاب الله ويعود للحق تبارك وتعالى، ويحقّق ما يرضيه، ويتجنّب ما يُغضبه، من خلال ارتباطه بوحي السماء كما في هذا الشهر الكريم، ولذا جُعل أجر القراءة للقرآن مضاعفاً، بل وحثّ الشارع على مفهوم التدبّر بشكل عميق، حيث تتجذّر نشوة الإيمان داخل النفس المؤمنة، ولأجل هذه الغاية تكفّل الشارع بتصفيّد الشياطين في هذا الشهر، كلّ ذلك لتحقيق غاية التقوى المنشودة في حِكمة هذا الشهر ورمزيته العظيمة.

وإذا ما نظرنا في الجهة المقابلة في الكشف عن مدلولات المرتكز الفلسفي للآلة الإعلامية التي تنشط عنفواناً بالشهوة والشبهة في الشهر المقدّس؛ نجدها تتعارض مع هذه البِنية الإسلامية ومقدّسيها الزمانيّ والنصي، فإن المرتكز الفلسفي للجذر العلماني الذي يشكّل الرؤية الإعلامية ينبني على نفي المقدّسات وفكّ ارتباط بعضها ببعض، فجوهر العلمانية قطع العلاقة مع المقدّس وإلغائه أو قصر أدواره على الأقل، فجذر هذه الفلسفة يرمي إلى حرب ضروس تُشنّ على أي مقدّس كان، ولذا سيكون هدف الآلة الإعلامية هي الإشغال الزماني في وقت

---

(١) أخرجه : ابن خزيمة ، وابن حبان ، والبيهقي في الكبرى (وهذا لفظه) ، والطبراني في الكبير والأوسط، قال الذهبي في المهذب : إسناده صالح، وقال الألباني في صحيح الترغيب : حسن صحيح.

المقدّس الزماني، حتى يتم القطيعة بين ارتباط قدسية القرآن والعودة إليه وقدسية الشهر الفضيل، فتُبقي الآلة الإعلامية وعي المسلم متسمّراً أمام مستنقع من الشهوات التي يتفنّن فيها معدوا المسلسلات والأفلام والبرامج، فزيادة الجذب هنا تعتمد على حجم الإغراءات والتفسَخ والعري، فيكون المرء أسير الشيطان الإنسي بعد أن صُفّد الشيطان الإبليسي، فاعتمدت الصناعة الإعلامية على تنافس مهيب من الانحلال والسفور، وفي هذه الصناعة يتم كسر قدسية الشهر الزمانية؛ حتى ينفكّ الارتباط بين الثنائية المقدّسة رمضان والقرآن، وذلك لأن هذا الدستور السماوي يقف حائط صدّ تجاه هذا الانحلال ويقاوم أحكامه، ويتوعّد فاعله، فأي فرصة للعودة للقرآن في هذا الشهر هي بمثابة كسر الصنم الإعلامي الشهواني ودحضه وتقويضه، ومن هنا نسوق النموذج التفسيري الأول الذي يجعل حِدّه الآلة الإعلامية تزيد في عنفوانها في رمضان، فتشتعل في هذا الشهر شهوة وانحلالاً حتى تقطع بين المسلم وكتاب ربه، وهذه أُس الفلسفة العلمانية التي تُبنى عليها هذه الصناعة، حيث تقطع العلمانية بين الإنسان والمقدّس دائماً وأبداً.

- **الأوبَة الرمضانية والنزعة الاستهلاكية:**

تشكّل الرؤية الاستهلاكية في العصر الحديث أحد المرتكزات المهمة التي تنهض بها الآلة الإعلامية، فإن هذا العصر الذي نعيش في خضمّه الآن هو عصر يتّسم بالاستهلاكية، بل أن أحد

مخرجات الآلة الإعلامية – كما عرفنا آنفاً- هو تحقيق مزيد من الاستهلاك لإنسان العصر الحديث، ولذا أصبحت الصناعة الإعلامية تعمل على هذا الغرض المهم؛ حيث تبقي المرء داخل قفص السوق والاستهلاك في كل وقت وحين. إن (حضارة السوق) هي نفي للثقافة كما يسميها جلال أمين[١]، ذلك أن النزعة الاستهلاكية تفصل بين (الجوهر الروحاني الرمضاني)، وتبقي المرء في حالة مادية طوال أيامه، وهذا مناف لجوهر الشِرعة الإسلامية والرمضانية بالخصوص في سياق حديثنا هنا. إن أحد الحكم الرمضانية تتجلّى في عودة المسلم لكتاب ربه، وهذه العودة تمثّل دستوراً شاملاً سيحكم قيم هذا المسلم وسلوكياته، ولذا فإن هذه الرؤية القرآنية تخالف وتعارض الرؤية الاستهلاكية، بل وتذمّ وتتوعد فاعلها، فجاءت الآيات والأحاديث التي تحدد للمسلم منهجاً في عدم الإسراف والتبذير واقتناء ما لا حاجة إليه، كقوله تعالى:(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [الأعراف: ٣١] فالرؤية الإسلامية تحدد نموذجاً كاملاً حتى في احتياجات العبد المسلم.

فالنتيجة المنطقية لجوهر الفلسفة الإعلامية بمرتكزها العلماني النفعي، سيعكّر صفوها هذا النموذج الإسلامي، ولذا ستتشنّ حرباً ضروساً في كل وقت وزمن يعود فيه المرء لدستوره القرآني المخالف لهذه الفلسفة، فتعمل الصناعة الإعلامية في هذا الخصوص، في العمل على أكبر قدر من التفسخ والعري

---

(١) جلال الدين أحمد أمين عالم اقتصاد وأكاديمي وكاتب مصري، عمل أستاذاً للاقتصاد بالجامعة الأميركية بالقاهرة. من كتبه: ماذا حدث للمصريين؟ .

والانحلال بُغية استقطاب المشاهد، ولتحقيق أمرين مهمين تهتم لها هذه الصناعة، فالأول قطع دابر المؤمن عن العودة لكتاب ربه كما هو في هذا الشهر بالخصوص فتزداد حِدّة الأذى والانحطاط، والثاني؛ لإبقاء النزعة الاستهلاكية مستمرة في القلوب والعقول دون انقطاع ولو لفترة مؤقتة، فإن كل انقطاع هنا عن الاستهلاك بمفهوم الرؤية النفعية هو في حقيقته يكبّد عناء الملّاك لهذه الصناعة خسائر فادحة، ولذلك نسوق هنا النموذج التفسيري الثاني لزيادة هذه الطغيان الشهواني، وهو إبقاء المسلم في هذا الشهر حبيس شهوته، وقطع الصلة بينه وبين ما يحدّه عن الاستهلاك وهو القرآن، فيأتي السحق الهائل من الآلة الإعلامية لكل مقدّس يحول بينها وبين استمرار النزعة الاستهلاكية.

- **الحكمة الرمضانية والصناعة الشهوانية:**

خُتمت آية الصيام في كتاب الله عز وجل ذكر الله جل وعلا بقوله تعالى:(ولعلكم تتقون)، ولذلك كان من حِكم الصيام ليس فقط صوم النفس عن الطعام والشراب؛ بل معناه متعدٍ إلى أبعد من ذلك؛ فالتقوى هي آكد حِكم الشارع في هذا الشهر، وخَصيصةً من خصائصه، فالنهي عن الرفث والفسوق والشهوات والمفاتن هو مما يستدعيه هذا الشهر؛ لتربية القلوب وصونها عن الحُرمات والصبر في سبيل ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ

حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)[1] ، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله عز وجل: كل عمل بن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم)[2]، ولذا تتاكّد في هذا الشهر حُرمة المفاسد والمعاصي، فالتقوى معنىً مطلوب ومؤكد في هذا الشهر، فتصوم النفس عن النظر الحرام والكلام الفاحش والسمع الخبيث وما إلى ذلك. ولكن هذه الرؤية الإسلامية والرمضانية بالخصوص تتعارض كلياً مع الرؤية الإعلامية العلمانية، فإن أس الصناعة الإعلامية لا يحدّه محددات ولا تحكمه مرجعيات فالهدف هو اللذة، والمرجعية هي النفعية، فمرتكز الفضائيات يتمثّل في الترفيه الذي هو أعلى نسبة في الصناعة الإعلامية، وإن معنى أن تكون المسلسلات والأفلام والبرامج ذات طابع منحلّ، هو أن المسلم محرّم عليه في تشريعاته الربّانية النظر إلى هذا، وآكد هذا الأمر في رمضان، فإن الأجر والثواب مضاعف وكذا السيئة، فإن تصّفيد الشياطين هو مما أعان الشارع به العبد المؤمن على القيام والطاعة، فمتى كانت العودة لامتثال الأمر والنهي للمسلم، كان هذا مقصياً لطبيعة الشهوة الإعلامية، فتزداد حِدّة الصناعة الشهوانية في هذا الشهر، وكسر مقدّساته، ولا تترك هنيهه ولا لحظة للعودة للجوهر الرمضاني، فإن كان المسلم لم يرجع وقد صُفدّت الشياطين فمتى يرجع؟، ولذلك أدركت الصناعة الإعلامية وملّاكها عظيم هذه الرؤية الرمضانية، فامتلأت الفضائيات طيلة ال٢٤ ساعة ببرامج ومسلسلات ممقوتة، وحققت فيما بينها تنافساً جمّاً في سبيل ذلك، ولذا كانت التكلفة المادية لهذه المسلسلات الماجنة يفوق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة (١٨٠٤)
(٢) أخرجه مسلم في صحيحة (١١٥١)

الوصف، وهو ما يتجاوز ملايين الدولارات، والهدف فصل المسلم عن هذه القيمة الروحية، فمتى عاد المسلم لشعيرته عنى ذلك أن الخسائر ستتكبّد لتلك القنوات مالا يحصى، فالسحق الشهواني هو الحلّ وبما أن الرؤية الإعلامية ترتكز على فلسفة علمانية نفعية، فكل شيء مباح في ظل هذه الفلسفة، وكل شيء يجوز طالما أن عوائده المالية لا تنقطع، وما يقف في وجه هذه الفلسفة فمصيره نزع القداسة عنه وإبقاءه حبيس التاريخ والذكريات، ومن هنا نسوق النموذج التفسيري الثالث، وهو أن حِدة الصناعة الإعلامية تزداد بطغيانها شهوة في هذا الشهر؛ لأن القداسة الرمضانية تحرّم هذه الرؤية ومضامينها الفضائية كالانحلال وغيره، فتأتي هذه الرؤية الشهوانية لتكسر المقدّس الزماني وتفصله عن حقيقة التقوى، فمتى انفصل المسلم عن هذه التقوى كان بقاءه حبيس تلك الفضائيات مضموناً ومسلماً به.

- **بين البيئة الرمضانية والبيئة العلمانية العالمية:**

يجدر بنا الحديث في هذا المقام عن أمر مهم لابد أن يُتفطّن له، وهو أن البيئة الإسلامية لم تعهد مثل هذا السُعار المحموم لإثارة الشبهات والشهوات في شهر رمضان الفضيل، فهذه الحالة حديثة عهد بالمجتمعات المسلمة، وهو نتيجة الانفتاح العالمي بدءاً من الصناعات اللاسلكية مروراً بالتلفزيون والراديو وانتهاءً إلى الشبكة العنكبوتية، ففي ظلّ هذا الانفتاح يشهد السياق العالمي بفلسفته الإلحادية العلمانية عولمةً لقيم محددة، هو نتيجة اكتساح الإمبريالية العالمية للمجتمعات الإسلامية بالحروب العسكرية

أولاً ثم الفكرية ثانياً، "فالإعلام من أهم آليات نشر النموذج العلماني، ويتم هذا من خلال عدة قنوات. فعالم الإنسان المركب يتحوّل إلى ذرات متناثرة تتحرك بلا هدف ولا غاية، في حيز لا زمان فيه ولا إنسان ولا مرجعيات"[١]، فالمنظومة الغربية العلمانية التي تحكم البيئة العالمية تخالف مخالفة تامة للبيئة الإسلامية والرمضانية بالخصوص. إن ما تبثّه الصناعة الإعلامية في شهر رمضان من مضامين تلك المسلسلات والأفلام والبرامج، هو محاولة لتبيئة الأفكار الغربية داخل المجتمعات الإسلامية، ويكون ذلك عن طريق الدراما، وهي ذات أفكار سائلة تُمرر إلى وعي الإنسان دون الشعور بها، فالمضامين في ذاتها هي نفي للمقدس القرآني أولاً ونفي للمقدّس الرمضاني ثانياً، فالخلطة بين الرجال والنساء، والسفور والتعرّي، والأحضان والرقصات، والخيانة، وتلميع الزنا، وتحّسين الخمر، وتقرّيب الفجور وتحبيبه، كل هذا معظّم في دستور الشريعة الإسلامية وتأباه وتحرّمه وتعلن العقوبة الرادعة لمرتكبيها، ولذا فإن الفلسفة العلمانية، تعلن كسر المقدّس في هذا الشهر لمصلحة السياق العالمي، ولمصلحة النفعية البراغماتية، فالمسلم الرمضاني متى عاد في هذا الشهر لربه، فإنه دون شعور يعلن داخله حرباً على الإمبريالية العالمية، ووقوفاً ضد هذه السياسات المُراد زرعها في البيئات الإسلامية، فكان الحلّ أن تتّسق المنظومة الإعلامية مع فلسفتها العلمانية ورؤيتها

---

(١) العلمانية الجزئية والشاملة، مرجع سابق ، صفحة:١٣٣/٢

الإمبريالية لتشنّ الغارة الشعواء في هذا الشهر، فإننا لم نعهد انحلالا مثل هذا (في شهر رمضان)، إلا في العقود الاخيرة، في ظلّ العولمة أو الأمركة، تلك القيم المُراد لكل العالم أن يخضع لها، ومن هنا نسوق النموذج التفسيري الرابع، وهو أن البيئة الرمضانية بالتشريعات الخاصّة بها، تتعارض في جوهرها مع بيئة السياسة العالمية العلمانية، فكان جوهر العلمانية هو إعلان الحرب على الشهر المقدّس؛ لنزع القداسة عنه، والفصل بين وعي المسلم والعودة لكتاب ربه، فإن الآلة الإعلامية تتوغل في هذا الشهر الفضيل لإحداث هذا المفاصلة.

- **رمضان والمتتالية الإعلامية الجنسية:**

لا تخطئ عين الملاحظ والمتتبع للفضائيات العربية والإسلامية عموماً هذا الانحلال التدريجي في الأفلام والمسلسلات عاماً بعد عام، وخاصة في هذا الشهر الفضيل، وهذا الانحلال هو ظاهرة عالمية بدأت بالحضارة الغربية واجتاحت الدول المسلمة كذلك، فإن" تاريخ البشرية لم يشهد منذ أقدم العصور ظهور الإباحية الجنسية وذيوعها على أوسع نطاق مثلما يشهده التاريخ المعاصر، وقد تضافرت عدة أسباب لشيوع هذه الظاهرة منها العولمة الإعلامية، وظهور محكمة تروج للجنس وشهواته وتتاجر فيها.... كما ساهم في الأمر وجود ثقافة علمانية حوّلت الإنسان إلى قطع غيار منفردة، فاصلة بين الجسد والروح،

جاعلة كلمة التراب هي العليا وكلمة الروح هي السفلى"[١]. إن هذا السعار الجنسي المحموم هو ما نشط في الآونة الأخيرة عبر الفضائيات، وقد تحولت الصناعة الجنسية على أيدي أرباب الأموال إلى بضاعة تروّج وتُباع وتُشترى " فبعد أكثر من ثلاثين سنة، انقلبت صورة العالم إثر تحولات اقتصادية وسياسية كبرى، وكان سقوط المعسكر الشيوعي منعطفاً حاسماً في تلك التحولات، وعلامة من علاماتها البارزة، فضاعفت الرأسمالية الغربية عامة، والأمريكية خاصة، الخطى نحو الهيمنة الواسعة على العالم والتحكّم في مقدّراته.. وتحولت البرجوازية[٢] عن شكلها القديم لتأخذ شكلاً جديداً بظهور الاقتصاد الحر والسوق الحر، من ثم الاستهلاك الحر، وتحول الجنس إلى بضاعة تروج في السوق وتخضع لقوانين العرض والطلب"[٣].

إن الدارس والمتأمل في هذه المسيرة الانحلالية للمنظومة الإعلامية بفلسفتها العلمانية؛ سيدرك حجم التفلّت المتستّر شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى أعلى درجات عنفوانه وانحطاطه، ونحن حينما نتتبع هذا الظاهرة نستخدم المتتالية النماذجية كما سمآها المسيري[٤]، وهي أداة تحليلية لرصد الظواهر وتطورها من خلال عملية عقلية تصورية. هذا يعني أننا حينما ندرس الصناعة الإعلامية وهي تنحلّ شيئاً فشيئاً فإننا لابد أن نتنبه لأمر مهم ونحن ندرس هذه الظاهرة، فإن الفلسفة العلمانية قد تبدأ في بادئ

---

(١) الثقافة والمنهج، سوزان حرفي، دار الفكر، الطبعة الأولى، صفحة: ١٣٤
(٢) طَبَقة اجْتماعيَّة مُسَيطرةِ في النِّظام الرَّأسماليّ لأن أفرادها يمتلكون وسائل الإنْتاج، تقابلها طبقة العُمَّال.
(٣) المرجع السابق، صفحة: ١٣٥
(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، الطبعة الأولى صفحة: ١١٧/١

أمرها على أنها محايدة ولا تعادي الدين، ولكن من خلال تعمّقها في المجتمعات فإنها ستعلن الحرب على الدين ضرورة،
فجوهرها معادٍ للدين أساساً! وهكذا في تتبعنا للفضائيات ومسلسل التمرّد والانحلال شيئا فشيئاّ، وهذا هو النموذج التفسيري للظاهرة المتزايدة من التفسّخ المبتذل والفاضح، فهي فلسفة نفعية تبدأ تدريجياً في العري والإباحية، حتى تصل لأعلى درجاتها مع تقادم الزمن، فهي في هذا الإطار لا تخرج عن فلسفتها العلمانية؛ التي ما أن تحلّ بالمجتمعات حتى تتجرّد شيئاً فشيئاّ من قيمها وأخلاقها وعاداتها وسلوكها، وقد حذّر المسيري رحمه الله من هذه المتتالية العلمانية في الصناعة الإعلامية فيقول في ذلك " متتالية العلمانية أمسكت بتلابيب العالم. وأرجو من الله أن نرصد التطورات التي كانت كامنة في نموذج التحرر الجنسي والتي بدأت في التحقق في الغرب، وندركها وندرك تضميناتها، لعلها تؤدي ببعض المنادين بالحرية في بلادنا إلى التريّث قليلاً في دعوتهم، فلا يدعون إلى الحرية ويكتفون بذلك، بل ينظرون إلى التطورات اللاحقة، لاسيما وأن بعض التطورات بدأت تظهر في مجتمعاتنا بالفعل (انظر بعض الفضائيات وإعلاناتها الراقصة التي لا تنتهي، وتوظيف الجنس في بيع كل شيء ابتداءً من كريمات الجلد وانتهاء بالمبيدات الحشرية!!). وأنظر إلى محطات (الفيديو كليب) وقد ظهرت أعمال أدبية تتعامل مع الجنس بشكل مكشوف ومباشر"[١].

---

(١) الثقافة والمنهج، مرجع سابق، صفحة: ١٣٣

هذه المتتالية الإعلامية قد تحققت نتيجتها على أرض الواقع، وأصبحت الفضائيات في رمضان مرتعاً لكل أصحاب الشهوات، فمنذ عقود كانت المسلسلات التي تعرض في هذه الفضائيات تلتزم نوعاً من الحشمة في اللباس للمرأة، وكان هذا هو السمة البارزة التي يلحظها المتابع في الفضائيات العربية عموماً، وبعد تطاول السنوات بدأ التدرج شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى الملابس القصيرة الفاضحة أو ما يطلق عليه المصريون (لابسة من غير هدوم!). إن أحد الظواهر الجديدة والتي برزت في السنوات الاخيرة هي ما حدث لكثير من المسلسلات-التي تعرض في السنوات الأخيرة- من استعراض للرقص الشرقي، ومشاهد من الكاباريهات، وزجاجات الخمرة تعلو في المكان وتلوح، هذه المشاهد كانت حبيسة بعض الأفلام العربية فقط، ولم تكن في يوم مضمنّة داخل المسلسلات العربية، بيد أنه مع هذه المتتالية أخذت هذه الظاهرة تُظهر صورة العري والرقص حتى داخل بعض البرامج، وهذا يدل على تحقق المتتالية العلمانية في الانحلال والسفور عبر سنوات طويلة. " ومن الجدير بالذكر هنا أن سياسة الرقابة العربية على المواد المستوردة قد بلغت شوطاً كبيراّ من (التطور) منذ انطلاقة البث التلفزيوني ١٩٦٠م في مصر، إذ تم اختزال مفهوم المحظور هنا إلى أضيق الحدود، بل أن الثقافة المنحلّة والإباحية أصبحت تُعرض بشكل سافر دون أن تمر على أي مقص للرقيب، فقد بات من الممكن لهذه القنوات وغيرها بثّ الأفلام والمسلسلات والبرامج التي تروّج للجنس والإباحية بكل

صراحة ودون أي حرج"[١]. إن (صناعة الأنوثة) كما يسميها مصطفى المرابط قد أفقدت المرأة أنوثتها الحقيقية وأبقتها كمادة استعمالية متى فُرغ منها تُلفظ ويذهب دورها،" فالصورة النمطية التي يتم تثبيتها تختزل المرأة في جسدها. لم يعد يُكتفى بتشيّؤ هذا الجسد (أي تحويله إلى شيء) إنما جعله في خدمة الشيء، حيث يُقدم - أي جسد الأنثى- طعماً للترويج لسلعة أو منتوج. فالجسد يُقدم تارة على أنه مادة للاستهلاك وتارة أخرى وسيلة للاستهلاك"[٢].

كل هذه النتائج هي حصيلة الفلسفة الإلحادية الهدّامة التي حولت الإنسان لسلعة وجعلت البشر مواد استهلاكية، وأقصت المقدسات، وتمرّدت على القيم والأخلاق، فظهر الانحلال الفضائي نتيجة لانطلاقه من هذه الفلسفة العلمانية كمبدأ ومرجع، وإني أسأل الله أن يكفينا شرّ زمان ستصبح فيه الإباحية وقد بلغت ذروتها تُعرض في الشاشات دون حسيب ورقيب.

(١) الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي ، مرجع سابق ، صفحة: ٢٧٣
(٢) الثقافة والمنهج، مرجع سابق، صفحة: ١٣٨-١٣٩

المبحث الرابع: نماذج من الحرب على المقدّس في الشهر المقدّس.

- السياق السياسي العالمي.
- نماذج إعلامية تطبيقية .

يشهد المجال الإعلامي في رمضان في عالمنا العربي والإسلامي ، زيادة في الحِدة والعداء لصورة الإسلاميين وتشويهها، فلا يكاد يخلو عام من الأعوام دون التعرض لحملات تزوير وتلفيقٍ لصورة المتمسكين بهذا الدين، وربطها بأبشع أنواع العنف والقسوة والتشدّد، بل وأحطّ الصور الأخلاقية، وليس هذا بجديد على ساحتنا، فهذا التشوية هو امتداد لصورة التشويه الإعلامية العالمية للإسلام، بقيادة مقرّ الصناعة الرئيسة لهذه الصورة "هوليود". هذا الحملة التشويهية لم تأتِ عبثاً ودون ترتيب مسبق بل هي عملية مركبة للغاية، تتفاعل فيها محددات كثيرة مع السياق السياسي العالمي ومصالح الساسة و الحكومات المستفيدة من هذا التشويه.

وعلى صعيدنا المحلّي- السعودي- تشهد السنوات الأخيرة صورة تشويه قبيحة ومؤلمة للإسلاميين، وخاصة في شهر رمضان الفضيل، عبر المسلسلات المتنوعة والبرامج الخاصة والمعدّة خِصّيصاً لهذا الأمر، يتم فيها عادة تشويه صورة المجتمع المسلم والتشكيك في ثوابت الدين، والاستهزاء المسلسلاتي بالأحكام الشرعية، وناهيك عن أبشع أنواع العنف الرمزي الذي يُمارس في هذه القنوات الممقوتة ضد الدين وأهله، وبدءاً من (طاش ما طاش) وانتهاءً بـ(العاصوف) والسلسلة لا زالت مستمرة في التشويه والقولبة الممجوجة، ولذا سنسأل هنا سؤالاً يُراود الكثيرين من الغيورين، لمَ هذا التشويه الإعلامي؟ لماذا نشهد في كل عام تصوير المجتمع المسلم بالرذائل؟ لماذا التشكيك في أحكام الدين وثوابته عبر هذه الفضائيات ؟ هذه الأسئلة وغيرها، سنسوق الإجابة عليها في هذا المبحث ، حيث نسبر غور الأحداث ونجمع تلك الخيوط التي قد تبدو متبعثرة لأول وهلة، لكنها ليست كذلك فهناك خيط ناظم يجمع كل تلك الخيوط وينظمها

في نسيج واحد؛ يعطينا نموذجاً تفسيرياً وسبباً لما نراه من هذا العداء وحِدة التشويه، ولذا سأقصّ عليك أيها القارئ الكريم-ولو بشكل موجز- أمر هذا الصراع وحقيقته، وعلاقة ذلك بالتشويه المحلي للإسلام وأحكامه والمنتسبين له في فضائياتنا، حتى تتضّح الرؤية الكلية حول هذا الصراع وحقيقته.

- السياق السياسي العالمي:

" مالم تفهم صراعاتنا مع منافسينا الصناعيين والعالم الثالث، ستبدو لك السياسة الخارجية للولايات المتحدة كسلسلة من الأخطاء العشوائية والتناقضات"(١) هكذا يلخّص المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي(٢) عن أحد أهم الحلقات المهمة والمتصلة بالصراع بين الشرق والغرب، فإن هذا الصراع سيفسّر لنا كثيراً من الأحداث التي جرت وتجري الآن كذلك.

في عام ١٩٤٥م وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وبرزت القوتين العظميين في العالم أجمع، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وجرت الحرب الباردة آنذاك بين المعسكرين (الرأسمالي والاشتراكي)، أُستخدم فيها كل أنواع الحروب الفكرية والحرب بالوكالة عدى الحرب العسكرية المباشرة، كان من أخطر الأسلحة التي استخدمتها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتي هو سلاح الإعلام " فقامت المحطات والقنوات الإعلامية الغربية الموجّهة إلى الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية بما لم تقوَ على القيام به جيوش حلف شمال الأطلسي والمخابرات

(١) ماذا يريد العم سام، نعوم تشومسكي، تعرَيب: عادل المعلم، دار الشروق، الطبعة الأولى، صفحة: ٢٦
(٢) أفرام نعوم تُشُومِسْكِي هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. من كتبه: سنة ٥٠١ الغزو مستمر.

الأمريكية والحصار الاقتصادي. لقد دخلت برامجها ونشراتها الإخبارية وتحقيقاتها المعدّة بعناية وأفلامها الوثائقية وموجات الغناء الغربية والأفلام السينمائية، وما تحمله جميعها من مضامين، إلى كل بيت مخاطبةً شعوراً عاماً بالحرمان: الحرمان من الحرّيات الفردية، والحرمان من الروح الاستهلاكية، والحرمان من إشباع المطالب الغرائزية. كانت الرسائل الأيدولوجية الغربية المحمولة على صهوة الإعلام تخاطب مجتمعاً مختلفاً في منظومة القيم، لكنه يعاني من عدم إشباع كثير من الحاجات البيولوجية والنفسية العادية في مجتمعات الغرب"(١). وبعد سلسلة من هذا الصراع المحموم وبحلول العام ١٩٩١م سقط الاتحاد السوفيتي بمعسكره الاشتراكي معلناً بهذا السقوط صعود الهيمنة الغربية الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، لتتفرّد بالزعامة العالمية آمرة وناهية ومشرّقة ومغرّبة دون حدود أو قيود.

في هذا الأثناء برزت إلى السطح الأطروحتان الشهيرتان (نهاية التاريخ لفوكوياما – صدام الحضارات لهنتجتون)، هاتان الأطروحتان هي التي ستقودان سياسة المعسكر الغربي بالزعامة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي بشكل خاص، ذلك أن الأطروحة الأولى لفوكويوما اعتبرت أنه بعد سقوط الاشتراكية فإن القيم الغربية هي التي ينبغي أن تسود العالم، وأُعتبرت حقوق الإنسان في هذه الأثناء حقوقاً عالمية، والقيم الديمقراطية الليبرالية هي النهاية السعيدة للعالم أجمع.

أما الأطروحة الثانية: فهي أشدّ وأفتك خطراً في صعيد السياسة العالمية، فإنه بعد سقوط المعسكر الاشتراكي فرغت المنظومة الغربية من خطر

(١) العولمة والممانعة، مرجع سابق، صفحة: ٩٦

يتوعدها، وكان البحث عن صناعة تهديد خارجي هو من سياسة الغرب ليبقى على تماسكه الداخلي وحماية مصالحه الخارجية، فبعد النازية حلّت الاشتراكية كخطر يتهدد الغرب، وبعد سقوط الاشتراكية برز الإسلام كعدو جديد يهدد المصالح الغربية. أطروحة هنتجتون (صدام الحضارات) نظّرت لهذا المفهوم، فقد اعتبر هنتجتون أن الإسلام هو أخطر ما يهدد الغرب فيقول في هذا الخصوص "الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت الغرب موضع شكٍّ، وقد فعل ذلك مرتين على الأقل" ويقرر هنتجتون نتيجة عميقة في هذه الحرب حيث يقول "المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية، بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته، وهاجسه ضآلة قوته"[1].

في هذه الأثناء تزايدت الموجة العدائية للعالم الثالث المسلم، والذي على الغرب أن يقوم بتحّضيره وتحديثه، وبرزت الصور التشويهية للإسلام والمسلمين وربطهم بالعنف والتخلّف والإرهاب، سواءً في الصحافة أو وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة، حتى قال ادوارد سعيد في تلك الأثناء" إن الربط المصطنع تماماً بين العرب والمسلمين والإرهاب لم يكن أكثر بروزاً مما هو عليه الآن"[2]. ويتحدث إدوارد[3] في كتابه "تغطية الإسلام" في عن تنميط صورة المسلم في الإعلام الأمريكي آنذاك "فوسائل الإعلام العامة.. مليئة بالصور السلبية عن الإسلام:(اسألوا طلاب الكليات الأمريكية، سواء في جامعات النخبة أو في أماكن أخرى، عن رأيهم حين يسمعون ذِكر كلمة (مسلم). الجواب سيكون هو ذاته محتوم: إرهابيون

---

(١) نقلا بواسطة : صورة الاسلاميين على الشاشة، صفحة: ٢٦ ، عن (صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي ٣٣٨-٣٥٢
(٢) تغطية الإسلام ، إداورد سعيد، ترجمة: سميرة خوري صفحة: ٢٨
(٣) تقدمت ترجمته، أنظر صفحة:٢٢

مسلّحون، ملتحون، متعصّبون، مصمّمون على تحطيم العدو الكبير، الولايات المتحدة)"[١].

إن هذه الصورة المشوّهة ليست عفوية، بل متعمّدة لاصطناع عدو جديد للغرب بديلاً عن العدو الاشتراكي، لتعزيز الهيمنة الغربية والحفاظ على مصالحه المنشودة في دول العالم الإسلامي. وتزايدت في هذه الفترة عدد المراكز البحثية الغربية تجاه دول العالم الإسلامي والتي سيكون لها دور كبير في صنع السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط _وسنعرّج لاحقاً على أحد أهم هذا المراكز- ، واستمر هذا الصراع الغربي في حدته ضد الإسلام حتى توجّت هذه المرحلة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر.

شهدت هذه الفترة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في تدّشين مرحلة جديدة في الصراع بين الغرب والإسلام، "فبعد أيام من وقوع الأحداث وتحديداً في العشرين من سبتمبر، خرج الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطاب أمام الكونغرس الأمريكي بتصريح يقول فيه (هؤلاء الإرهابيون يقتلون ليس فقط من أجل وضع حدّ لحياة العديد من الأفراد، بل لتدمير نمط الحياة.. إنها حرب الحضارة، حرب كل أولئك الذين يؤمنون بالتقدم والتعددية والتسامح والحرية... كل دولة في كل منطقة عليها الآن أن تتخذ قراراً إما أنكم معنا، وإما أنكم مع الإرهابيين، والعالم المتحضّر سيتحالف مع أمريكا... يتساءل مواطنو الولايات المتحدة عن سبب كراهيتهم لنا؛ إنهم يكرهون حرياتنا، حرية الاجتماع، حرية الاختلاف في الرأي)"[٢].
توجّت هذه المرحلة لغزو العراق وأفغانستان، ودشّت لحرب جديدة ستقود

(١) المرجع السابق صفحة: ٤٢
(٢) صورة الإسلاميين على الشاشة، مرجع سابق، صفحة: ٣٧

مسيرة السياسة العالمية بعد ذلك وهي ((الحرب على الإرهاب)). إن هذه اللحظة التي ستغزو فيها أمريكا للعراق وأفغانستان، ستكون لحظة تغيير حقيقية على أرض الواقع في المجتمعات الإسلامية التي اعتبرها الغرب متخلّفة ولابد من تحّديثها.

أشير في هذا الصدد لأمر مهم وخطير بشان الحرب على العراق، فقد اعتبرتها الولايات المتحدة التطبيق الفعلي للتغيير المنشود، حيث إن" الولايات المتحدة قد سعت من خلال غزوها- المادي- للعراق، إلى تحقيق ما نسميه هنا ب(الغزو المعنوي) لشعوب المنطقة العربية كافة، بكل نتائجها المأمولة أمريكياً على صعيد حماية مصالحها في المنطقة، بما فيها النفط، بأقل الخسائر والتكاليف"[١].. ولم يكن الهدف هنا مادياً فحسب بل حتى ثقافياّ ومعنويا "وإعادة صياغة التركيبة الثقافية والاجتماعية والتي ستفضي بدورها إلى تحولات سياسية، وفي هذا الصدد يأتي العراق كمكان اختبار تجري على أرضه عملية (الهندسة الثقافية) على غرار التجربة اليابانية، ثم تنتقل عبر أثر(الدومينو) إلى مناطق الوطن العربي الأخرى، كما أن تيار المحافظين الجدد الذي يتمركز في وزارة الدفاع يسعى إلى القضاء على مصادر الخطر المحتملة التي قد تهدد إسرائيل، ويعتقد هذا التيار-المحافظين الجدد- أن عصر الهيمنة الأمريكية يجب أن ألا تحدّه قيود الأعراف الدولية ولا كوابح المؤسسات العالمية في سعيه لتحديد أسس التعامل ومعايير السلوك الدولي، وهنا أيضاّ يشكّل العراق ساحة مؤاتية (تحرّر) الولايات المتحدة من قيود الأمم المتحدة"[٢]. كان الهدف الأمريكي

(١) احتلال العراق، الأهداف، النتائج، المستقبل، اعداد مركز دراسات الوحدة العربي، صفحة: ٥٤
(٢) المرجع السابق، صفحة: ٧٥-٧٦

هو (مشروع الشرق الأوسط الكبير) والذي تهدف منه لتحقيق ثلاثة أهداف استراتيجية:

الأول: إعادة تشكيل وترتيب أوضاع المنطقة لتقبّل النموذج الليبرالي عبر الديمقراطية الغربية.

الثاني: تهيئة المنطقة للعولمة، وهيمنة الشركات الأمريكية والاوروبية العابرة للقارات على اقتصاد المنطقة.

الثالث: دمج وتطّبيع دولة الصهاينة مع العالم العربي في كيان شرق أوسطي.[١]

خلال هذه الفترة قدمت مراكز البحث الأمريكية عدداً من الدراسات والبحوث بشأن سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط،، فالغرب أدرك خلال هذه المسيرة أن الصراع العسكري المباشر مكلف ومجهد، وانه لا يمكن القضاء على الإسلام كأيديولوجيا، فدشّنت هذه المرحلة لحملة جديدة نسميها تجوزاً (الإسلام البيرالي) الذي يتوافق مع القيم والحداثة الغربية. كان من أهم الدراسات التي قُدمت خلال تلك الفترة هو تقرير مقدّم من مؤسسة راند[٢] حول:(الإسلام المدني الديمقراطي/ شركاء وموارد واستراتيجيات)

(١) عصر الاسلاميين الجدد، وليد الهويريني، صفحة: ٣٥

(٢) مؤسسة RAND مؤسسة غير ربحية تساعد على تحسين السياسات وعملية اتخاذ القرار. تعتبر حكومة الظل للسياسة الخارجية الأمريكية. أنشأت عدداً من التقارير بخصوص سياسات الشرق الأوسط. من أبرزها: إسلام ديمقراطي مدني.

قسّم التقرير العالم الإسلامي إلى ٤ فئات:

١- التقليديون: من ينشدون مجتمعاً محافظاً، ويتشكّكون في الحداثة والتطور.

٢- الحداثيون (المجددون): من يطالبون بإسلام ليبرالي يوافق القيم الغربية.

٣- العلمانيون: المنادون بفصل الدين عن الدولة.

٤- الأصوليون: والمقصود بهم أهل السنة والجماعة ومن كان على نهج السلف الصالح [١].

حدّد التقرير أن أهم عدو للغرب هم الفئة الرابعة (الأصوليون) وأن هذه الفئة ينبغي محاربتها وإقصائها أو يتم احتوائها داخل قالب الحداثة الغربي، وأوصى التقرير بدعم المجددين بشكل عام، وضد الأصوليين بشكل خاص، كما نبه التقرير إلى دعم الصوفيين بشدة في هذا السياق، في العالم العربي على اعتبار أنهم هم من سيقودون التغيير المنشود في العالم الإسلامي، وأوصى التقرير بعدة آليات منها:

- تعزيز منابر للمجددين لتصل آراؤهم لعموم المجتمعات المسلمة.
- أن يظهروا دون غيرهم على أنهم صورة الإسلام المعاصر.
- تشجيعهم لوضع الكتب التعليمية.
- نشر كتبهم بأسعار مدعّمة.
- استخدام الإعلام لنشر أفكار المجددين وممارساتهم.

(١) الإسلام الدمقراطي المدني، شيريل لينبارد ترجمة: ابراهيم عوض، مركز نماء للبحوث

واللافت في الأمر أن التقرير أوصى بخمسة أشخاص من هؤلاء المجددين، وأنهم يشكلون نموذجاً لشكل الإسلام المعاصر وهم:(خالد أبو الفضل[١]، ومحمد شحرور[٢]، وشريف ماردين[٣]، وفتح الله كولن[٤]، وبسام طيبي[٥][٦].

الجدير بالذكر هنا أن محمد شحرور سيعقد له برنامج رمضاني بعد ذلك بعنوان (النبأ العظيم) على إذاعة وقنوات مجموعة روتانا.

تأتي هذه الخطوة لتكوين إسلام مدني متوافق مع المصالح الغربية لثلاثة أسباب رئيسية:

١-منع انتشار التطرّف والعنف على حدّ زعمها.

٢-تحاشي ترك أي انطباع يُشير إلى عداوة الولايات المتحدة للإسلام.

---

(١) خالد مدحت أبو الفضل: أمريكي من أصل مصري، أستاذ الشريعة والقانون في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، له مشاركات في أبحاث مؤسسة راند، ومؤسسة كارنييجي ومجلس العلاقات الخارجية، وغيرها من مؤسسات البحوث الأمريكية، له عدد من المؤلفات منها: السرقة الكبرى مصارعة الإسلام من المتطرفين، ونادى في كتابه هذا إلى استعادة الإسلام من الوهابيين الذين اختطفوه!

(٢) محمد شحرور: هو محمد ديب شحرور، ولد بدمشق، عام ١٩٣٨ م، حصل على الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية، اختصاص ميكانيك تربة وأساسات من جامعة دبلن بأيرلندا، وأشتغل بالهندسة المدنية بعد عودته لدمشق؛ تدريسا وتأليفاً وعملاً تجارياً، ثم اتجه منذ عام ١٩٧٠م إلى دراسات التنزيل الحكيم، وألف في ذلك عدة كتب، منهاالكتاب والقرآن-قراءة معاصرة، الدولة والمجتمع، "الإسلام والإيمان -منظومة القيم، وغيرها من المؤلفات. "

(٣) ولد شرف ماردين في اسطنبول عام ١٩٦٧م، (لا يزال على قيد الحياة)، وأكمل دراسته الجامعية في جامعة ستانفورد في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وبقي هناك حتى نال درجة الأستاذية(بروفيسور) ، . له عدة مؤلفات منها: الدين والأيديولوجية وبديع الزمان سعيد النورسي: الدين والتغير الاجتماعي في تركيا، وغيرها من المؤلفات ويُعد في الوقت الحالي من أشهر مفكري تركيا."

(٤) يُعد فتح الله جولن (كولن،غولين) المولود عام ١٩٣٨م، من أبرز الوجوه الإسلامية في تركيا في الوقت الحالي، وإذا كان نجم الدين أربكان يمثل الإسلام السياسي في تركيا، فإن فتح الله جولن يمثل الإسلام الاجتماعي في تركيا، حيث يعتقد أن التغيير يبدأ من قاعدة الهرم إلى أعلاه، وتقوم دعوة فتح الله جولن على الأسس الصوفية، الممتدة إلى الطريقة النورسية (نسبة إلى سعيد النورسي)، واستطاع أن يجمع إلى هذه الأسس ادوات المدنية الحديثة، مما أسهم في انتشار دعوته في تركيا، وفي العديد من دول العالم. "

(٥)بسام طبي مواطن ألماني من أصل سوري، ولد في دمشق عام ١٩٤٤م، يعمل أستاذا للعلاقات الدولية في جامعة "جوتنجن الألمانية، وهومن أبرز دعاة ما يسمى بـ الإسلام الأوروبي، بل إنه يزعم أنه أول من ابتدع هذه الفكرة، التي تقوم على المزاوجة بين المحافظة على أسس الدين الإسلامي والانغماس في الحضارة الغربية المادية، مع التخلص من المفاهيم الصحراوية المرتبطة بإقامة الحدود والجهاد ونحو ذلك! "

(٦) أنظر: الإسلام الذي يريده الغرب، صالح الغامدي، مركز الفكر المعاصر، الطبعة الثالثة، صفحة: ٢٢٩.

٣- على الولايات المتحدة إيجاد سبل، على لمدى الطويل، تمكّنها من التحكّم في الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية الأكثر عمقاً، والتي تغذّي التطرّف الإسلامي - كما يزعمون-[١].

تلا هذه المرحلة ،ما سمي (ثورات الربيع العربي)، التي انطلقت في عام٢٠١٠م والتي أسقط من خلالها بعض الأنظمة الحاكمة في بعض الدول، وبدأت من خلالها الولايات المتحدة بالتدشين الفعلي لحملة الإسلام الديمقراطي الليبرالي، فإن كانت المرحلة ما بين ٢٠٠١م-٢٠١٠م كان عنوانها الحرب على الإرهاب، فإن الفترة ما بين ٢٠١٠م حتى وقتنا الحاضر هو إسلام متوافق مع القيم الغربية، ونموذج المسلم المنشود هو(مسلم ليبرالي لا يعتبر الغرب عدواً، ومتطبّع بالقيم الغربية، ويعتبر وجود الكيان الصهيوني شرعي على الأرض).

إن هذه السلسة الطويلة من الصراع المادي والمعنوي ضد الإسلام وأهله، هي الحملة التي ستقودها الآلة الإعلامية لتشويه صورة المسلم السنّي وإظهاره بصورة متزمّتة ومتطرّفة. إن تشويه الإسلام وأهله الذي نراه في الشاشات الرمضانية هو جزء من هذا المشروع الغربي الخبيث لكبح جماح أهل السنة، وخلخلة الثوابت عند الجيل الجديد من الشباب المسلم، ولذا تتفق البرامج والمسلسلات على صورة واحدة، أن المسلم (صاحب عقيدة الولاء والبراء) و(الملتحي)و(الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر)و(المنادي ضد الاحتلال الصهيوني)، هو مسلم متعصّب عدو للقيم الغربية العالمية، وينبغي القضاء عليه، أو تشكيكه في الثوابت والأحكام الشرعية، حتى يسود الإسلام الذي يريده الغرب، هذا الإسلام المعدّل الذي

(١) الإسلام المدني الديمقراطي، مرجع سابق، صفحة: ٧- ٨

يجعل الغرب محافظاً على مصالحه لأطول فترة ممكنة دون مقاومة وكَلَفَة.

- **نماذج إعلامية تطبيقية:**

١- مسلسل العاصوف:

يعتبر هذا المسلسل من أضخم المسلسلات الرمضانية للعام ٢٠١٨م ، وفكرة هذا المسلسل لا تخرج عن السياق العالمي المُراد منه نشر صورة للمسلم المعدّل صاحب إسلام وسطي (ليبرالي)، فالهدف من المسلسل، تقرير أن حالة التدين التي يعيشها المجتمع هي وليدة الصحوة الإسلامية، وأن المجتمع آنذاك لم ترد عليه عوارض الصحوة الإسلامية، وبالتالي حالة التدين طارئة على هذا المجتمع، وتأتي فكرة المسلسل في إلقاء نظرة على المجتمع السعودي إبّان فترة السبعينات الميلادية، وتصوير المجتمع بكونه بعيداً عن التدين والالتزام بالأحكام الشرعية، وأن السائد في تلك الفترة هو الشأن الطبيعي لذلك المجتمع.

- يبدأ المسلسل بلقطة في غاية القباحة، امرأة تحمل طفلاً (لقيطاً) في يدها، وتضعه أمام أحد المساجد، في ظلام الليل الدامس، ولا أعلم أي فكرة بشعة وقبيحة أراد المسلسل إيصالها؟ هل أن (الزنا) كان منتشراً في ذلك المجتمع؟ وأن هذا هو النمط الطبيعي آنذاك؟!! هذه الإجابة متروكة للقارئ الكريم.
- يظهر في هذا المسلسل شخصية (أبو سعد)، وهي شخصية تمثل الرجل الملتزم والمتدين داخل عائلته، رجل له لحية كثيفة، ومحافظ على صلاته، تبدأ اللقطة على صورة الراديو الذي يذيع أغنية عربية

يملأ صداها المكان، ثم تنتقل اللقطة تدريجياً حتى تصل لأبي سعد (المتدين)، وهو جالس مع والدته بكل أريحية ويتبادل معها الحديث، ورمزية اللقطة هنا تقوم بالرد على من حرّم الغناء، وخاصة في فترة (الصحوة الإسلامية) حيث كان المجتمع – وإلى اليوم- يدرك حرمة الغناء والنصوص الواردة فيه، فاللقطة هنا تصوّر أن هذا الرجل الملتحي المتدين كانت مسألة الغناء لديه طبيعية، وأن التحّريم لم يأت إلا من لدن علماء ودعاة الصحوة الإسلامية!!

- تُظهر علاقة تربط بين خالد (ناصر القصبي)، وجارته (فتاة عشرينية)، بعد عدة لقاءات، تأتي الصورة على مشهد يجمع بين خالد وجارته (حبيبته) في بيتها!! في ظلام الليل الدامس! وما أن ينتهي (خالد) من قضاء ليلته، حتى يتفاجأ بموقف أرعبه، ووقوف أخيه (أبو سعد "المطوّع")، أمام منزل جارته حاملاً عصاه وهو في قمة غضبه، فيرتعب لهذا الأمر (خالد)، فتقترح عليه جارته حلّاً، بقولها (خلك عندي الليلة!!). وإن أبسط متابع سيدرك دناءة هذا المشهد وتصوير البِغاء والزنا والفُحش حتى بحليلة جاره!! أهكذا كان ذاك المجتمع فاسداً؟! أهذا هو مجتمع ما قبل الصحوة!! ومتى كان في تلك الفترة فتاة عشرينية تعيش لوحدها بمنزل مستقل، تقابل (حبيبها) في أي وقت شاءت!! تصوير مبتذل ومنحطّ لأبشع صورة تقدم عن صورة ذلك الجيل!! وحجم الفساد الذي كان فيه!!!
- لقطة أخرى بشأن الطفل اللقيط: تظهر هذه اللقطة أم وابنتها يجلسان أمام (أم خالد).. تشكو هذه الأم لأم خالد أن ابنها(خالد) قد افتعل الفاحشة بابنتها!! وأن هذا الطفل اللقيط هو ابن ابنتها!!! تنادي الأم

(أم خالد) ابنها خالد لتتعرف الابنة عليه، فتنكره البنت، فيظهر خلف خالد أخيه محسن، فتتعرف الابنة عليه مباشرة بقولها:(هذا هو اللي أخذني للبر!!).. فينكر محسن هذا الكلام، لكنه بعد اختلائه بنفسه، تظهر لقطة أخرى لمحسن وهو يتذكر الموقف جيداً وكيف تعرف عليها، وكيف ذهب بها للبر، والغزليات التي دارت بينهما!!
هذا هو ما يظهره هذا المسلسل من فحش وبِغاء وزنا، بل أكثر من ذلك، تصوير مجتمع يغدنّ فيه البغيّات ذهاباً وإياباً!! وانعدام النخوة الأصيلة أصلاً، الموجودة عند العربي في نخوته وشهامته وغيرته حتى على جيرانه وعشيرته، وهذه الأخلاق -الغيرة على الأعراض- كانت قبل الإسلام، فما بالك والحال بعده؟

قد يقول قائل: أنتم تبالغون في وصف هذا المسلسل! وهل يعني هذا أن المجتمع إبّان تلك الفترة لم يكن فيه فحش أو زنا؟ فجوابنا هنا لا ليس هذا المقصود، فالفحش والبغي والظلم موجود في كل المجتمعات منذ عصور دول الإسلام جميعها، ولكن الصورة التي يقدمها المسلسل (تجعل أن صورة هذا الفجور هو الحالة الطبيعية للمجتمع في تلك الفترة وأن هذا هو السائد)، فنحن لا نقول أنه في تلك الفترة كان المجتمع طاهراً خالياً من الذنوب والفواحش، لا، فهذا غير متصوّر أصلاً، لكن النقمة على هذا المسلسل هو محاولة التشويه التي يمارسها واجتزاء الصورة وقصّها، فهو يسلّط الضوء على أقبح ما يحدث بالمجتمع بحجة توصيف الحال!! ومن هنا يظهر تعمّد إظهار الصورة القبيحة لنا (الطبيعية للمسلسل)، لايدلوجية

مضمرة داخل الصورة المراد توصيلها عن حال المجتمع بتلك الفترة.

لقطة أخرى تظهر شاشة سينما في تلك الفترة: وفي هذه اللقطة يظهر مجموعة من المشاهدين وأغلبهم إما شباب وإما صغار في السنّ وغلمان، وهم يُطالعون فيلماً مصرياً (أبيض وأسود)، تظهر فيه صورة النساء بأقبح سفور وعري، يتم تسلّيط الصورة على المتابعين لهذا المشهد فيظهر مجموعة من الشباب وهم مستثارون (جنسياً)، كل منهم يعضّ على شفتيه، ومنهم من يضرب بيديه على فخذه، نتيجة لهذا المشهد المتعرّي للممثلات على شاشة الفيلم والسينما!!

وأي شيء أقبح من هذا التصوير الفجّ، وهذه الدناءة حتى في اختيار المشهد وتوصيف أمرٍ أراده مخرج المسلسل!! مضمر خبيث يصوّر شباب الجيل إبّان تلك الفترة بالشهوانيين والجنسيين، وأن هذه هي حالة طبيعية للشاب الطبيعي!!

وصورة السينما ماهي إلا تأكيدٌ وضرب من هيئة الترفيه لأخلاق المجتمع وربط تحريم السينما بالأصل للصحوة!! واعتبار أن السينما كانت حالة طبيعية والمجتمع متقبل للفنون في تلك الحقبة، إلا أن الصحوة هي التي عكّرت صفو المجتمع، فاقتلعت الفن، وحرّمت السينما، ونادت بالتحريم لكل هذا!!!

إن هدف هذا المسلسل لا يخرج عن الحالة الإعلامية السائدة في مجتمعنا المحلي؛ لضرب الثوابت الإسلامية عن طريق ربطها بالصحوة، فالراصد للحالة الإعلامية في الآونة الأخيرة، وهي

تركب أعلى موجاتها في ضرب الثوابت والمقدسات في عقول المتلقين؛ سيلحظ الأسلوب الموحّد في التعامل مع هذه الثوابت وإن اختلفت الأدوات والوسائل وحتى تنوع الأشخاص. هذه الثوابت التي أُريد لها أن تُضرب كان لها أسلوب خطير في التعامل معها ألا وهو ربط هذه الثوابت بحالة مجتمعية وبفترة زمنية تشكّل وعي الناس عليها. فهذا ما عملت عليه أغلب التيارات المصادمة للشريعة سواء:(تيار ليبرالي_ تيار علماني)، والقنوات التلفزيونية المتبنية للنهج الإنفتاحي لقيادة التغيير الثقافي في السعودية وعلى رأسها MBC(المتبنّية لمسلسل العاصوف وعرضه) ومن على شاكلتها، فكانت جوهرية الرسالة لعقول الجمهور المشاهد وأسلوب التضليل هو ربط التمسّك بالثوابت الإسلامية بحالة المجتمع السعودي إبان انتشار دعوة التوحيد وما تلاها من انتشار العلماء ودروس العلم، وتبني المؤسسة التعليمية لتدريس المواد الإسلامية:(توحيد، فقه، حديث، تفسير،...)، وما نتج بعد ذلك من قيام الصحوة الإسلامية، بعد الترنّح الذي أصاب العالم الإسلامي، بفعل انتشار الفلسفات الإلحادية والعلمانية وتبني دول متعددة لهذه الايدلوجيا الجديدة، هذه الفترة من التاريخ السعودي القريب، حاولت هذه الآلة الإعلامية ربط الثوابت الإسلامية بها، بل ونظّرت لهذا المفهوم في محاولة لجعل الثوابت أمراً طارئاً على عقول الجيل الجديد، وكأنّ الثوابت الإسلامية لم يتحدث عنها القرآن ويقررها، ولم توجبها السنّة النبوية وتعمقها في قلوب الصحابة ومن تبعهم، وكان مغزى هذا الزخم الإعلامي حول زعزعة الثوابت هو ربطها ببعض العلماء

المعاصرين، وأن المجتمع المنغلق هو مجتمع نشأ على هذه القيم التي تقررت في القرن الأخير، بالتالي لا داعي لهذا التسخّط حول الثوابت**!!**.

٢-برنامج صحوة:

بدأ عرض هذا البرنامج على قناة روتانا خليجية ابتداءً من رمضان٢٠١٦م ، يستضيف فيه المذيع احمد العرفج الشخصية المشهورة عدنان إبراهيم[(١)]، أشير هنا إلى الرمزية التي يحملها البرنامج فهو يشير إلى صحوة جديدة تردّ على الصحوة الإسلامية السابقة؛ فيقرر عدنان إبراهيم مفاهيم كثيرة مخالفة لشرع الله، وعناداً ضد الأحكام الإسلامية بغير علم ولا بيّنة، وسأذكر هنا نموذجاً واحداً من إحدى الحلقات وهو عن موضوع أصبح مثيراً في الساحة المحلّية، ولنرى التخبّط العدناني ومنهجيته في هذا البرنامج:

١ – استفتح المذيع وبدأ الحلقة بتهويل وتضخيم أمر الخلاف في **الحجاب** وختمها بمثل ذلك، فمما قاله: (بين الحجاب والخمار والنقاب وغطاء الرأس وغيرها من المسميات **ظل الخلاف قائما بين الفقهاء وأئمة المذاهب،** ولن نبالغ لو قلنا إن حجاب المرأة في الإسلام من أكبر القضايا جدلية في التاريخ وما زال حتى يوم الناس هذا... وماذا قدم الفقهاء الجدد في هذه القضية وهل أنصفوها أم زادوها تعقيدًا**!** السؤال الأهم هل للمرأة رأي في قضيتها الكبرى)، ومع الأسف الشديد لم ينكر عليه عدنان ذلك،

---

(١) عدنان إبراهيم، (١٩٦٦ م - ١٣٨٦ هـ)، فلسطيني من مواليد مدينة غزة. وهو من الخطباء المفوّهين البارزين في أوروبا، ويعتبره البعض من رواد الخطاب الديني المستنير، له اهتمامات بالفلسفة وعلومها ولديه العديد من الأفكار والنظريات والأطروحات المثيرة للجدل والتي تتعارض مع اصول الإسلام.

بل أقره وأعرض عن ذكر الأدلة الظاهرة والأقوال المشهور التي تزيل هذا التشويش، فكان من جوابه: (قضية **الحجاب** بلا شك من القضايا الجدلية الخلافية، ... هل وجه المرأة عورة! أم ليس بعورة!
ثم ينبني على ذلك مسألة أخرى، وهي إذا كان عورة هل يجوز النظر إليه عند الحاجة مثلا؟ أو يجوز بإطلاق؟ هذه قضايا وقع فيها الخلاف الكبير والشديد في مسائل تتعلق بتأسيس القضية أعني النصوص الشرعية من كتاب وسنة كيف فهمها الفقهاء والمفسرون والعلماء فضلا عن الخلاف الواقع في النصوص الحديثية من جهة الورود، هناك من صحح حديثًا ما وهناك من ضعَّفه. فالقضية خلافية بلا شك).
مواطن الخلاف التي ذكرها عدنان إبراهيم لا يجعل فرض الحجاب مسألة خلافية، والمواطن لا شك أنه وقع فيها خلاف بين العلماء؛ لكنه لم ينازع أحد منهم في فرض الحجاب.

٢ ــ قال عدنان إبراهيم: (فالحجاب، لو نبدأ من القرآن العظيم، كلمة الحجاب وردت في القرآن الكريم في مواضع أعتقد أنها سبعة مواضع إذا ضممنا إليها آية المطففين ((كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)) تصبح تقريبا ثمانية موارد أو ثمانية مواضع، ... أما كلمة حجاب وردت في سبعة مواضع وفي سبعتها لم ترد بمعنى غطاء الوجه أو غطاء البدن في سبعتها، وإنما بمعنى الفاصل والساتر المكاني الفضائي).

الاعتراض بهذه الشبهة واسع بين المنكرين لفرضية الحجاب أو من يريد تهويل الخلاف فيه.
ويصلح الكلام السابق اعتراضا إذا اعتمد الفقهاء في إثبات فرض هذا

اللباس على أمر القرآن بالحجاب، ومن المعلوم أن إثبات فرض اللباس الشرعي لا يعتمد على حرفية الأمر القرآني بسؤال أمهات المؤمنين من وراء حجاب، فلم يخف على الفقهاء أن ظاهر الآية يتحدث عن ساتر مكاني.

ولكن الفقيه لا يكتفي بالمرور السطحي على ظاهر الآية، بل يفتش عن الحكمة.

٣ – يقول عدنان إبراهيم: (الآن سأقول شيئًا عجيبا جدا، قرأت قبل مدة حديثا في أسد الغابة للعلامة ابن الأثير الجزري صاحب كتاب النهاية، في أسد الغابة في ترجمة صحابية تُسمى منيعة، تقول ابنتها: أنها جاءت وسألت النبي: وا ناراه وا ناره، تستعيذ بالله من نار جهنم، فقال: ما نجواك؟ فذكرت له سؤالها، فقال لها - وهي منتقبة - أسفري يا أمة الله عن وجهك. أريني وجهك، فإن السفور من الإيمان أو قال من الإسلام، والنقاب من الفجور!!!، شيء غريب...

رواه الإمام العلامة ابن مندة ورواه أبو نعيم الأصبهاني في الصحابة... هذا الحديث ذكره ابن الأثير ولم يعلّق بشيء، ونقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة وعلّق بالقول: (ولم أجده فيهما) ، لم أجده عند ابن مندة، ولا عند أبي نعيم في الصحابة، ولكن لم يعلق منكر المتن مثلا، أو شاذ لهذه النكارة في متنه مع أن العبارة قوية جدا، يقول: أسفري فإن السفور من الإيمان أو الإسلام، والنقاب من الفجور).

وما قاله عدنان يدلُّ على جهله الشديد بالحديث وعلومه، ومن له اطلاع ومعرفة بعلم الحديث يُدرك ذلك؛ لكن منهجية عدنان هي اللامنهجية،

وبخصوص هذا الحديث فيه مجهولان (مجهول العين) ، ورواية المجهول لا تقبل، ويوجد مقطع لأبي عمر الباحث صاحب قناة مكافح الشبهات بعنوان: (إنزال العقاب على شاتم النقاب #عدنان_إبراهيم) ردّ فيه على عدنان استدلاله بهذه الرواية.

٤ – ونختم بهذه الكارثة،

المذيع: (يا دكتور ما تلاحظ أنه أحيانا النقاب يزيد بالفتنة، بمعنى أن المنتقبة أحيانا تظهر بأكثر من جمالها المعتاد)

رد عدنان إبراهيم قائلًا: (دكتور أعتقد أن القاعدة هنا فعلًا مُنعتَ شيئًا فأكثرت الولوع به، أَحبُّ شيء إلى المرء ما مُنع، يجب أن نكون واضحين، أنا يحزنني أن أقول هذا؛ لكن يجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا ومع الحقائق، ألم نلحظ بعد أن المجتمعات التي تزيد مزيد تشدد، وتفصل تقريبا بشكل شبه تام وكامل بين النوعين، مجتمعات للرجال مجتمعات للنساء في كل شيء، وتحجر المرأة مثل هذا الحجب الكامل حتى وجهها الذي يُوشك أن يكون طمسًا لشخصيتها، **<u>أن هذه المجتمعات تكثر فيها الفواحش من نوع خاص</u>**، لأكن صريحا، في علم الاجتماع، **<u>كل</u>** المجتمعات الرجالية يكثر فيها الشذوذ الجنسي، مثل البحّارة، مثل السجون، هذا في علم الاجتماع معروف دائما، **<u>حتى في هذه المجتمعات التي يُفصل فيها فصلا تاما بين الجنسين، تصبح مجتمعات رجالية، مجتمعات نسائية مفصولة يزيد فيها الشذوذ، ويزيد فيها الهوس الجنسي، يصبح الجنس هاجسا ملازما للإنسان، ويُوشك أن هوسا ليس هاجسا</u>**، لماذا؟؛ لأن ما زاد عن حده انقلب ضده؛ لذلك نحن أمة الوسط، ومأمورون أن نتوسط)، و يا لله و يا للعجب، ولنسأل سؤالاً هنا لعدنان: **<u>من الذي أعلن الشذوذ</u>**

الجنسى فى العالم أجمع واعتبره حق من حقوق الإنسان؟ أليسوا هم الغرب المنفتح (جنسياً)؟ من الذى أنتج مسلسلات الشذوذ الجنسى التى تُذاع فى كل مكان صباح مساء؟ أليس هو الغرب المنفتح على المرأة وتجلس المرأة بجانب الرجل دون فصل ولا عُزلة؟!!! .

وسأنقل هنا نصّاً لوزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلارى كلينتون[١] من مذكراتها تقول فيه:" دعمتُ فى وزارة الخارجية الأمريكية، حدث الاعتزاز السنوى الذى تقيمه جماعة تسمى (المثليين جنسياً والسحاقيات) فى وكالات الشؤون الخارجية، وكما يشير الاسم، تضمّ هذه المجموعة الشاذّين جنسياً من العاملين فى الشؤون الخارجية الأمريكية؛ ليحوزوا ركيزة مهنية قوية من أجل تحّسين الأجواء المحيطة بالشاذين فى الخارج كما هو فى الداخل" وتقول كذلك فى هذا السياق:" تطرّقت إلى الأذى الفظيع الذى لا يزال يعانيه الشاذون عالمياً، وقلتُ:(هذه المخاطر ليست قضايا المثليين، هى قضايا حقوق الإنسان) ....دعونى أقول اليوم إن حقوق الإنسان هى حقوق المثليين وحقوق المثليين هى حقوق الإنسان، مرة واحدة وأخيرة". [٢]

هذا هو الغرب الذي تظهر فيه المرأة سافرة متبرّجة، وهذه مآلاته، فأين عدنان إبراهيم من هذه القضية؟!!!.

إن الهدف الذي يرمي له هذا البرنامج زعزعة الأحكام الشرعية ومحاولة ربطها بعلماء معاصرين، وأن السياق الطبيعي هو موافقة العصر، فلا

---

(١) هيلاري كلينتون، سياسية أمريكية، حيث تولت منصب وزير الخارجية الأمريكي السابع والستين، وذلك في عهد الرئيس باراك أوباما في الفترة منذ عام ٢٠٠٩ وحتى عام ٢٠١٣.
(٢) خيارات صعبة، هيلاري كلنتون، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر صفحة: ٥٦٤

يخرج نمط هذا البرنامج عن الاستراتيجية العالمية لإسلام ليبرالي معتدل!!.

٣-برنامج النبأ العظيم:

برنامج ابتدأ عرضه على قناة روتانا خليجية في رمضان ٢٠١٧م ، يستضيف فيه المذيع يحيى الأمير، المهندس: محمد شحرور. ويهدف البرنامج لقراءة معاصرة للقرآن والأحكام الشرعية.

تتمحور فكرة محمد شحرور حول قراءة جديدة للأحكام والثوابت الشرعية بصورة معاصرة، فشحرور يرفض الثوابت والاحكام الشرعية، وينادي بعملية قراءة جديدة من داخل التراث كأصول الفقه وعلوم القرآن؛ لتتوافق مع عصرنا!!. يقول في كتابه (منابع تجفيف الإرهاب) " نحن بحاجة ملحّة إلى إعادة النظر، وخاصة فيما يسمى بالثوابت أو الأصول حيث نحن اليوم بحاجة إلى إعادة تأصيل الأصول نفسها، وإعادة النظر فيما يسمى بالأحكام الشرعية وأدلتها [١] ويقول في كتابه الدولة والمجتمع " هل استطعنا نحن أن نتجاوز الشافعيّ في أصول الفقه ونضع أصولاً جديدة؟"[٢]

و يا للعجب من هذا الجديد الذي يدعونا إليه شحرور، إنه يقدّم نموذجاً لم يعهد مثله قط، فيقول في كتابه (دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم) " يجب على المسلم أن يكون عنده ذرة شكّ في

---

(١) منابع تجفيف الإرهاب ، محمد شحرور، صفحة: ٣٤
(٢) الدولة والمجتمع، محمد شحرور، صفحة: ٢٢٨

وجود الله، والملحد عنده ذرة شكّ في الإلحاد"[١] وفي حديثه عن إرادة الله جلّ وعلا، يقول في كتابه (الدولة والسلطة) " أن الله لم يكتب الشقاء والسعادة، والغنى والفقر، وطول العمر وقصره على أحد أبداً منذ الأزل"[٢] ويقول في كتابه (القصص القرآني) وهو يحكي عن علم الله- تعالى الله عما يقول الظالمون- "إن علم الله بالأشياء هو علم رياضي بحت.... فليس في علم الله تفاحة صفراء وأخرى حمراء، ولكنها موجودة في علمه كلها على شكل علاقات رياضية عددية بحتة"[٣]

وحينما تحدث عن خلق الإنسان والروح يقول كذلك " الله- حسب التنزيل الحكيم- حقّق ذاته بنفخه الروح، ورأى ذاته مجازياً في الإنسان"[٤] تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وفي نفس الكتاب يتحدث شحرور عن خلق الإنسان وأنه تطور إلى الحال الذي عليه اليوم (فشحرور من أنصار الداروينية) فيقول" مرّ البشر بصور مختلفة خلال سيرورة تطوره من شبيه بالقرد يمشي على أربع إلى صورة الإنسان الحالي"[٥]

ولفظ آدم في كتاب الله ليس هو نبي الله آدم الذي جاء به القرآن عند شحرور بل" آدم لفظ معبر عن مجموعة بشرية، عاشت جنباً إلى جنب مع مجموعات أخرى فنيت لاحقاً"[٦] ويقول كذلك " آدم

---

(١) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، محمد شحرور، صفحة: ٦٠
(٢) الدولة والسلطة، محمد شحرور، صفحة: ٢٩٤-٢٩٥
(٣) القصص القرآني، محمد شحرور، صفحة:١٦٠/١
(٤) المرجع السابق، صفحة: ٢٩٢/١
(٥) المرجع السابق، صفحة: ٢٥٢/١
(٦) المرجع السابق، صفحة: ٢٥٨/١

هو مرحلة وسيطة بين الإنسان والبشر وليس شخص واحداً"[١]
ثم يتحدث عن التاريخ الإنساني في كتابه (الإسلام والإيمان) قائلاً" بدأ التاريخ الإنساني بانفصاله عن المملكة الحيوانية"[٢] وفي كتابه (دليل القراءة المعاصرة) يبين شحرور معنى عرش الله بقوله" العرش: هو أوامر الله ونواهيه"[٣] وأما حديث شحرور عن الشعائر الإسلامية فحدّث ولا حرج فها هو يقول في كتابه (الإسلام والإيمان) عن بعض الشعائر في الإسلام "القتال ضد الفطرة، والزكاة ضد الفطرة، والصيام ضد الفطرة... وباختصار الشعائر كلها ضد الفطرة"[٤]، هذه هي نتائج القراءات المعاصرة لمحمد شحرور، وليس الغرض هنا أن أنقل ما يقول ونردّ عليه، وإنما أحببت أن أبيّن للقارئ شيئاً ضئيلاً من تفكير هذا الرجل، لأختصر على القارئ ما سيقوله شحرور في هذا البرنامج من طعن في الأحكام والسنة وتأويل للقرآن بقراءات وتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، فما ظنك برجل يقرر هذه القراءة الجديدة في كتبه؟ هل سيأتي بجديد في هذا؟ وإليك مثال ما ينضح به في أحد حلقاته في هذا البرنامج.

المقطع الذي سأعلق عليه هو تفسير شحرور العجيب الغريب البعيد كل البعد عن قواعد اللغة والعلم لقوله تعالى: ((نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم))

---

(١) المرجع السابق، صفحة: ٢٨٣/١
(٢) الإسلام والإيمان، محمد شحرور، صفحة: ٣٥٢
(٣) دليل القراءة المعاصرة، محمد شحرور، صفحة: ٨٦
(٤) الإسلام والأيمان، مرجع سابق، صفحة: ٣٧

المقطع هو الحلقة الأولى "النبأ العظيم" والتي بعنوان: (العالمية، والرحمة، والخاتمية، وغياب الترادف)

وتتلخص انحرافات محمد شحرور في تفسيره الآية الكريمة فيما يلي:

١ – تحريفه لمعنى كلمة النساء.

٢ – عدم فهمه لكلمة الحرث، وأن المتاع إنما يقتصر على الأشياء والحاجات.

فنقول وبالله التوفيق:

شحرور حرّف معنى كلمة النساء إلى معنى بعيد كل البعد عن اللغة - وهو أصلا لا يُحسن اللغة العربية ولا التحدث بها ويظهر ذلك لمن يستمع له – فقال أن المعنى من النسيء، أي: التأخير، فهو يرفض – بجهله – أن يكون معنى كلمة "نساؤكم" هو "جمع امرأة" ، وإنما كل ما استُحدث إلى أن تقوم الساعة من المتأخرات الحديثة (الأشياء المستحدثة)!!!

أما قوله تعالى: (حرث لكم) فيجعلها شحرور ويفسرها: بأنها المكسب والمنفعة!!!، وهذا مبني على تفسيره المغلوط لكلمة متاع في سورة آل عمران؛ حيث فسّرها بالأشياء، وأنه يكون لغير العاقل، ولا شك أن هذا التخريف والتحريف ترده آيات وأحاديث منها قوله تعالى: (أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) [القصص:٦١] وقوله سبحانه وتعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)[النساء:٢٤] فالاستمتاع يكون بالنساء، وقول النبي

ﷺ: (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)[1] فالحديث ينص على أن(المرأة) متاع، وليس كما يزعم المُخرّف شحرور بأن المتاع يكون فقط في أشياء وحاجيات من غير العاقل!!!

فبعد أن بينا الأخطاء في تفسير شحرور لقوله تعالى: (نساؤكم حرث لكم)، نسرد الآيات من البداية كي يتضح المعنى، يقول الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣))

[البقرة:٢٢٢-٢٢٣]

المحيض معروف لكل قارئ، هو ما يُعرف بالدورة الشهرية عند المرأة، فالآية الكريمة تأمرنا بأن المرأة إذ جاءها المحيض (وهو أذى)، فإنه يجب على الرجل أن يعتزلها فلا يقربها حتى تطهر، فإذا طهرت يجوز للرجل إتيانها من حيث أمر الله، وهذا واضح لا إشكال فيه.

فعندنا: "حيض" ، "نساء" ، "تطهر" ، "اعتزال" ، "إتيان"

فالمراد من الآية الكريمة أن الرجل يعتزل زوجته حال حيضها فلا يقربها حتى تطهر.

ثم قال تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)[البقرة: ٢٢٣]، فـ " نِسَاؤُكُمْ " التي تكلم الله عنهن في الآية السابقة، وأمرنا باعتزالهن في المحيض هن " حَرْثٌ لَّكُمْ " والحرث في اللغة يأتي على معان عدة، منها:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة

١ – الأرض المتشققة للزراعة.

٢– الزرع، كما قال تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا **وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ** ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ)[البقرة: ٢٠٥]

٣– متاع الدنيا، كما في قوله تعالى: (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) [الشورى:٢٠]

٤–الثواب والنصيب، أو الموعود به، وهو حرث الآخرة.

فقوله تعالى: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ) معناه: ائتوا نساءكم التي وصفها الله بالحرث كيف ما شئتم ما دام في القبل، وفي هذا إشارة إلى تحريم إتيان المرأة في الدبر، فالتشبيه بالأرض أو الزرع يعني أن الإتيان يكون في منبت الولد فقط.

فهذا هو الفهم الصحيح للآية الكريمة، لا تخريف شحرور، فلو أردنا أن نُطبق تخريف شحرور على الآية، لكان معناها: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا.. أي الأشياء المستحدثة كالجوال والراديو والكمبيوتر حتى يطهرن)، فهل يُعقل أن يأمرنا الله باعتزال الأشياء الحديثة الجديدة في حال الحيض!!! وما علاقة الأشياء الحديثة كالجوال والراديو وغيرها بالحيض!!!

كذلك يفسّر شحرور قول الله تعالى (وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣)) [الفجر: ١-٣]

بقوله:

الفجر: الانفجار الكبير!!

وليال عشر: المراحل العشرة لتكون الكون!!

والشفع والوتر: الهيدروجين وما بداخله من إلكترونات سالبة وبروتون موجب!!!!

والأمثلة كثيرة في هذا البرنامج المشؤوم.

(لكن هذا النموذج هو الذي أوصت به مؤسسة راند للمجددين الجدد، والذين لابد أن تتاح لهم فرص الظهور الإعلامي؛ ليكونوا جزءاً من التجديد المطلوب "وفق الرؤية الغربية")

٤- برنامج الإيمان والعصر:

برنامج الإيمان والعصر للداعية المعروف عمرو خالد[١]، عُرض في موسمين متتالين ٢٠١٥م و ٢٠١٦م ، على قناة MBC.

يطرح عمرو خالد في هذا البرنامج – كما يقول- رؤية جديدة فعّالة لدور الدين في الحياة، وهو يهدف إلى إعادة قراءة الدين وفق واقع ومقتضيات العصر وفي هذا السياق يبدأ عمرو خالد برنامجه بقوله:

(في فجوة كبيرة بين الدين والحياة) ثم يقول (مش الدين، لا، في فهمنا للدين)، وهذه الفجوة يعبّر عنها عمرو خالد: بأن أكثر كتاب فقه يباع هو فقه السنة الذي أُلّف منذ سبعين سنة كما يقول، وبمأن بيننا وبين هذا الكتاب ٧٠ سنة فهذه هي الفجوة بيننا وبين فهمنا للأحكام الفقهية وعمرها ٧٠ سنة!!!، ثم يعرّج عمرو خالد على فهمنا للتفسير فهو يرى أن الفجوة بيننا وبين تفسير كلام الله هي أكثر من ٧٠٠ سنة لماذا؟ لأن أكثر كتاب تفسير يُباع هو تفسير ابن كثير وهو مؤلّف من ٧٠٠ سنة وتزيد!!!!

(١) الدكتور عمرو محمد حلمي خالد داعية إسلامي، ومؤسس جمعية صناع الحياة، كانت بداية عمله الدعوي في مصر مع بداية القرن الحالي، ثم ذاع صيته في جميع أنحاء الدول العربية والإسلامية، وقام بتقديم العديد من البرامج التلفزيونية.

يوضح عمرو خالد في برنامجه دور الدين في الحياة فيحدده بأمرين:

- أن يلبّي احتياجات المجتمع.
- يجيب عن أسئلة العصر.

ويدعو عمرو خالد إلى تجديد جديد فيقرر بأن العلماء السابقين كانوا ينطلقون في تقرير الأحكام بدءً من الدين ثم يطبقون تشريعاته على الحياة ومقتضياتها، ثم يؤكد أنه في عصرنا الحاضر أصبحت الحياة هي التي تسبق الدين والدين ثابت في مكانه، وأن هناك فئة تريد أن تنطلق في تصوراتها من الدين للحياة فيقول:(عايزين يشدوا الحياة لورى مينفعش)، ثم يجيب عن الشيء الصحيح الذي ينبغي، والذي سيقدمه في برنامجه هذا فيقول:(احنا عملنا حاجة جديدة، احنا انطلقنا من الحياة للدين)، ثم يقرّر عمرو خالد هنا مسألة في التجديد فيقول:(علماء الدين مش هيعرفوا يعملواا تجديد لوحدهم، لازم الشباب يشارك لأن هم اللي فاهمين الحياة).

وهكذا يبتدئ عمرو خالد برنامجه الذي يدعوا فيه إلى تجديد من نوع جديد، تديّن من النوع الوسطي بالطعم الليبرالي والرائحة العصرية والمذاق الغربي، فهذا البرنامج لا يخرج عن غيره من البرامج والمسلسلات التي تهدف إلى إسلام يرضي الغرب، وترمي لتطويع نصوص الشريعة لتوافق هيمنة الثقافة الغالبة.

هذه بعض النماذج البسيطة التي استوعبتها هذا الورقة والتي تهدف إلى تسلّيط الضوء على عملية الطعن والحرب على المقدس في الشهر المقدّس والمغزى من هذه الحرب الإعلامية المعلنة، ونلاحظ من خلال ما يتم عرضه في الفضائيات من مسلسلات وبرامج في هذا الشهر الفضيل،

تشويه مفهوم المسلم الحقيقي والطعن في الثوابت الإسلامية وزعزعتها عند المتلقي والمشاهد والهدف واحد (إسلام ليبرالي) متوافق مع القيم الغربية.

إن التناسق التام والتشابه في الأفكار والمركزية التي يريد الإعلام أن يوصلها لنا، تدلنا على فكرة مهمة ذكرها هربرت شيللر يقول:" إن التشابه الجوهري في المادة الإعلامية وفي التوجهات الثقافية التي تنقلها كل وسيلة من وسائل الإعلام بصورة مستقلة، يستلزم بالضرورة أن ننظر إلى الجهاز الإعلامي ككتلة واحدة".(١)

وهذا ما لاحظه ادوارد سعيد في كتابه (تغطية الإسلام) حيث يقول:" إن بوسع وسائل الإعلام أن تفعل كل شيء، فتعرض وجهات النظر جميعها، وتزوّدنا بأشياء عديدة تعتبر مستهجنة، أو أصيلة بشكل غير مألوف، بل حتى شاذة لكن، في نهاية المطاف، تجدها جميعاً تلتزم بإجماع أساسي واحد، لأنها كلها شركات تخدم وتعزّز هويّة واحدة مشتركة- هي (أمريكية) أو حتى (الغرب)"

هذا الترتيب الهائل المسبق في تشويه الإسلام وضرب الملتزمين به معنوياً، هو مما صُنع وطبخ في وسائل الإعلام بحبكة محنّكة في غاية الخبث والقباحة، فتجد مسلسل (سيلفي) يسخر من تصرفات المتدينين، ومسلسل (غرابيب سود) يضرب ثابت الجهاد بحجة محاربة داعش، ومسلسل (العاصوف) يربط الثوابت الإسلامية بحالة مجتمعية سابقة وأنها "كانت" حصيلة اجتهادات علماء معاصرين، وبرنامج (صحوة) يطعن في

---

(١) المتلاعبون بالعقول، مرجع سابق، صفحة:٨٩

الأحكام الشرعية ويزعزها للمتلقي، وبرنامج (النبأ العظيم) يطعن في تأصيل أصول الإسلام في أصل الثوابت ذاتها وقراء القرآن قراءة عصرية، وبرنامج (الإيمان والعصر) يدعو لتجديد الدين بطريقة مغايرة لمنهج الكتاب والسنة، والهدف وسط هذا الهجوم الذي قد يبدو مبعثراً، هو ضرب الأحكام والثوابت الشرعية والمطالبة بإسلام (ليبرالي) وسطي، يتوافق مع قيم الحضارة الغربية.

إن هذا الهدف الذي تسعى إليه هذه الآلة الإعلامية في بلادنا، هو مخطط استراتيجي مدروس منذ الاحتلال الأمريكي للعراق "فبحسب رئيس (مشروع القرن الأمريكي) وليم كريستول، في شهادته أمام لجنة الشرق الأوسط وجنوب أسيا التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس النوّاب الأمريكي، فإن (التعاليم الوهابية، والمدارس الدينية، والمال السعودي، قد شجعت الشباب المسلم في بلدان مختلفة من العالم على الجهاد. إن اتحاد العقيدة الوهابية والمال السعودي قد أسهم في خلق الراديكالية[١]- التطرّف- ومناهضة النمط الأمريكي في أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي، أكثر من أي عامل آخر، ومن ثمّ فإن إزاحة نظام الرئيس صدام حسين... سيكون خطوة ضخمة لتخفيض النفوذ السعودي... ومن ثم فإن السيطرة الأمريكية على العراق ونفطه، من خلال نظام موالٍ سيمكن من ممارسة الضغط ، بما في ذلك مالياً، على المملكة السعودية، بما يسمح للولايات المتحدة بتجفيف أحد أهم الموارد المالية للإرهاب (الإسلامي)".

(١) هي ترجمة للكلمة "أصل" أو "جذر"، ويقصد بها عموما التوجه الصلب والمتطرف والهادف للتغيير الجذري للواقع السياسي أو التكلم وفقا له.

ولهذا الأمر كان تشويه الإسلام والمسلمين في الإعلام هو أحد الركائز الأساسية التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة في كسب معركتها ضد ما أسمته بالتطرّف والإسلام الأصولي (السنّي)، "ولهذا الغرض أنشأت أمريكا معهداً متخصصاً في مراقبة الإعلام العربي والإسلامي، وترجمة مختارات منه إلى عدة لغات عربية، ويسمى ذلك المعهد(معهد الأبحاث الإعلامية للشرق الأوسط)، أو ما يُعرف اختصاراً ب (ميمري) (MEMRI)، وهو من الأدوات الرئيسة الحالية في تشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى الغربيين، كونه يعتمد التقاط واجتزاء ما يرى أنه يخدم هدفه وتوجهه من الإعلام العربي، ويقوم بترجمتها وتوفيرها بالدرجة الأولى للسياسيين الغربيين".[١]

يبقى أن أنوّه في نهاية هذا المبحث عن الأهداف الأمريكية المنشودة في منطقتنا، فإن معرفة هذه الأهداف ودراستها أحد المرتكزات الرئيسة في فهم المعاداة الرئيسة للإسلام وتشويه صورته في الفضائيات العربية والغربية، وهي كما يحددها وليم بلوم[٢]،أربعة أهداف مركزية:

١- جعل العالم مفتوحاً للعولمة وخاصة الشركات العابرة للقارات والتي مقرها أمريكا.
٢- تعزيز القوائم المالية لمقاولي الدفاع في الداخل الذين أسهموا بكرم في حملات أعضاء الكونجرس وقاطني البيت الأبيض.
٣- منع قيام أي مجتمع يمكن أن يستخدم كنموذج ناجح بديل للنموذج الرأسمالي.

---

(١) أنظر: الإسلام الذي يريده الغرب، مرجع سابق، صفحة: ٢٥٢-٢٥٣

(٢) ويليام بلوم هو مؤرخ، وكاتب، وصحفي، من الولايات المتحدة الأمريكية، له كتاب وحيد مترجم هو الدولة المارقة، وله عدد من الكتب الغير مترجمة منها: Killing Hope

٤- مد نطاق الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على أكبر قدر ممكن من الكرة الأرضية، لمنع قيام أي قوة إقليمية يمكن أن تتحدى التفوق الأمريكي، وإقامة نظام عالمي على صورة أمريكا، ويفيد الدولة العظمى الوحيدة في العالم[١].

وعند واضعي السياسة الأمريكية – كما يقول بلوم- فإن هذه الغايات تبرر الوسائل، وقد كانت كل الوسائل متاحة"

---

(١) وليم بلوم، الدولة المارقة، المجلس الأعلى للثقافة ترجمة: كمال سيد، الطبعة الأولى، صفحة: ٤٣.

خاتمة

على إحدى الفضائيات المصرية، استضافت إحدى المذيعات في حوارها واحدة من أشهر المطربات العربيات، والتي أثارت جدلاً كبير في الصحافة والإعلام، كان من ضمن الأسئلة التي أُلقيت في هذا الحوار:

المذيعة: ما رأيك في الشذوذ الجنسي.

المطربة: أنا بالنسبة لي هذا خيار من أراد عمله فليعمله، ومن لا يريد لا يعمله.

المذيعة: لو بتختاري ديانة أخرى غير المسيحية ماذا تختارين ؟

المطربة: لا ديانة، (لا دينية).

المذيعة: هل أنتي مع وضع مناهج عن الجنس بالمدارس؟

المطربة: بالتأكيد.

المذيعة: ما هو الأمر الذي تعرفينه عن ذاتك ولا يعرفه الآخرون؟

المطربة: هو إني أنا حمارة!!!

لم تمضِ عدة أشهر حتى كانت هذه المطربة من أحد المستقطبين من قناة (إم بي سي)، وشاركت في تقديم برنامج ثقافي!! يُذاع على القناة بعنوان (اسأل العرب)، وهو موجّه لكل الأقطار العربية!!

هذا نموذج واحد فقط من لدن نماذج كثيرة في تناقض وحرب الآلة الإعلامية الضروس الذي تُشنّه على القيم والمعتقدات والثوابت. إن هذا النموذج ليس بغريب على الصناعة الإعلامية بفلسفتها العلمانية، بل هو متّسق معها غاية الاتّساق ومطّرد في رؤيتها وفلسفتها، فالنفعية والبراغماتية والدنيوية التي تؤسّس لكل تناقض، ولكل تمرّد على الأديان

والثوابت، ولكل ما يطال المقدّسات والحُرمات؛ تؤكد أنه لا مطلقات ولا مرجعيات في سبيل المنفعة، وكل غاية تبرر كل وسيلة.

تشهد أمتنا الإسلامية حالة صراع رهيبة، هذا الصراع قد تبلور بأدواته عقيب الثورات العربية، إذ من طبيعة الثورات أن تقلب المفاهيم وتحرّك الساكن من الأفكار، فالأمة في حال مخاض، تموج بها كثيرٌ من الفتن والصراعات، وجاءت الآلة الإعلامية بفلسفتها العلمانية لتضع رؤية جديدة تُشكّل مجالاً للأفكار المناهضة للدين عند المتلقين لبثّ فضائياته، وهذه الرؤية تتقاطع مع السياسة العالمية في حربها على ما سُمِّي بالتطرّف والإرهاب والأصولية، ولذا وبعد أن أدرك الغرب أن الإسلام في الشعوب الإسلامية ظلّ حياً؛ حتى في حكم الأنظمة العلمانية الاستبدادية إبّان مرحلة الثورات، جاءت الفكرة المركزية الأخرى التي سيقوم عليها ويتولى كِبرها (الجهاز الإعلامي) بكافة أدواته، ألا وهي (تقويض الإسلام من داخله)، ولذا كانت أشدّ المعارك التي شنّها هذا التطرّف العلماني بآلته الإعلامية، هي الحرب ضد الثوابت. إن معركة الثوابت الإسلامية من أهم ما ينبغي التنّبه له من قِبل الغيورين وأهل العلم والصلاح؛ ليتولوا مسؤولية تأصيل الثوابت من جديد في مجتمعاتنا الإسلامية، والردّ على الشبهات حولها؛ التي يطرحها هذا المارد العلماني بجهازه الإعلامي. لقد كانت الإشكالات المثارة في الأزمان القريبة، عند روّاد (الصناعة الإعلامية) و المشكّكين هي إثارة الشبهات حول بعض الأحكام الشرعية كـ(حكم الغناء)، و(كشف الوجه للمرأة) وغيرها، أما المعركة الآن فقد أخذت طريقاً آخر هو طريق الثوابت، فالنقاش لم يعد قضايا مختلف فيها، بل أحكام ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، كـ(فرضية الحجاب)، و (أحكام الولاء والبراء)

و (مفهوم الجهاد)، وغيرها ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام هو أن لا نبقى نحن كإسلاميين مجرّد أدوات دفاع فقط، بل لابد من حالة هجوم فكرية مضادة لهذه الأفكار المعادية، حيث إن المنظومة العلمانية بجهازها الإعلامي تشهد تناقضات كثيرة داخل رؤيتها وتكوينها، إضافة لحجم الدجل والكذب المفترى الذي تتركّب منه؛ فكشف هذه الرؤية من شأنه أن يعزّز اليقين في قلوب المسلمين من هشاشة هذه الرؤية العلمانية وضلالاتها، وحجم السقوط المدوي الذي يحتفّ بها، ولذا يجدر بعامة أهل العلم والغيورين أن يتولوا هذه المسألة بالعناية، وأن تبقى الرؤية العلمانية في حال دفاع مستميت قدر الإمكان.

إنّ حقل الدراسات الإعلامية من أهم الحقول في عصرنا الحديث في تشكيل أفكار ورؤية المجتمعات، وهذا الحقل للأسف لم يأخذ بعد نصببه من الدراسات الإسلامية الشرعية، التي تكاد تكون ضئيلة وشحيحة في المكتبة الإسلامية، ولذا جاءت هذه الورقة بين يدي القارئ كمحاولة للتنبيه على هذه الفكرة، وتنشد الغيورين وأهل العلم لكتابات جديدة تأصيلية حول الإعلام وفلسفته في عصرنا، فهذه أول طرق الإصلاح والوعي التي تُبثّ لعموم المجتمعات الإسلامية وقادتها والمؤثرين فيه..

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من آكد سلامة المجتمعات الإسلامية، بل هو أصل من أصول الدين، وما من أمة تترك هذه الفريضة إلا أذاقها الله الذلّ والهوان، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يتنبّه المرء المسلم لحقيقة هذه الفضائيات التي تكدّ ليل نهار في تلويث

العقول ومحاربة الدين، فالواجب أن يحذر من خطورة ما يُلقى عليه فيها، وينبّه إخوانه المسلمين على خطورتها، واجتثاثها من كل بيت ودار، فإنها آفة السمّ الخفي الذي إن بقي في العقل أسْكره عن تبصّر الحق واتباعه، ومن تجنّب طريق الحق هلك. وإنا نسأل الله أن يوفق ولاة أمورنا من العلماء والأمراء والحكّام للتنبّه لخطر ما يُحاك لأمتنا، وأن يأخذ بيدهم للذبّ عن دين الله وأن يسدّدهم لما فيه نفع للبلاد والعباد.

هذا وما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١. الهوية والحركة الإسلامية، سوزان حرفي، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٢. نموذج الحداثة وما بعدها في الفكر العربي الحديث، د.حميد سمير، تكوين لدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى.
٣. موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، د. محمد حجر القرني، مجلة البيان للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى.
٤. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، الطبعة الأولى.
٥. الموسوعة الإسلامية الميسرة - ج ٣. دمشق: دار صحارى.
٦. منابع تجفيف الإرهاب ، محمد شحرور.
٧. المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، عبداللطيف الغامدي، مركز تأصيل للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى
٨. مراكز البحوث الأمريكية، ودراسات الشرق الأوسط بعد ١١ سبتمبر، د. هشام القروي، مركز نماء للدرسات والبحوث، الطبعة الأولى.
٩. المتلاعبون بالعقول، هربورت أ.شلير، ترجمة: عبدالسلام رضوان، عالم المعرفة، الطبعة الأولى.
١٠. ماذا يريد العم سام، نعوم تشومسكي، تعرَيب: عادل المعلم، دار الشروق، الطبعة الأولى.
١١. القصص القرآني، محمد شحرور.
١٢. فلسفات الإعلام الوضعية المعاصرة، دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف السماسيري.
١٣. فضاءات الشباب في الفضائيات العربية، محمد شطاح ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
١٤. العولمة والممانعة، عبدالإله بلقزيز، منتدى المعارف، الطبعة الثانية.
١٥. عن التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول ، بيير بورديو، ترجمة درويش الحلوجي، الطبعة الأولى.

١٦. العلمانية الجزيئة والشاملة، عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، الطبعة الخامسة
١٧. العلمانية نشأتها و تطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة. د.سفر الحوالي.
١٨. عصر الاسلاميين الجدد، وليد الهويريني.
١٩. العالمانية طاعون العصر، د.سامي عامري، تكوين لدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية.
٢٠. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. د سلطان العميري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى.
٢١. الصورة والجسد ،دراسات نقدية في الإعلام المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
٢٢. صورة الإسلاميين على الشاشة، أحمد سالم، مركز نماء للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية .
٢٣. صناعة الواقع ، الإعلام وضبط المجتمع ، محمد علي فرح، مركز نماء، الطبعة الأولى.
٢٤. الصعود العلماني في العالم الإسلامي جذوره وثماره، بهاء الدي الزهري، تقرير مجلة البيان ، التحولات الكبرى، مستقبل العالم الإسلامي بعد مئة عام من الحرب العالمية الأولى.
٢٥. سلطة الثقافة الغالبة، ابراهيم السكران، دار الحضارة، الطبعة الأولى.
٢٦. سلام ما بعده سلام ، دافيد فرومكين، دار رياض الريس، الطبعة الثالثة
٢٧. الدولة والمجتمع، محمد شحرور.
٢٨. الدولة والسلطة، محمد شحرور.
٢٩. الدولة المارقة، وليم بلوم، المجلس الأعلى للثقافة ترجمة: كمال سيد، الطبعة الأولى.
٣٠. دليل القراءة المعاصرة، محمد شحرور.
٣١. دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم.

٣٢. خيارات صعبة، هيلاري كلنتون، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
٣٣. حقيقة اللبرالية وموقف الاسلام منها، د.عبدالرحيم السلمي، مركز تأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى
٣٤. الحداثة السائلة، زيجمونت باومان، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الثانية.
٣٥. الثقافة والمنهج، سوزان حرفي، دار الفكر، الطبعة الأولى.
٣٦. تغطية الإسلام، إدوارد سعيد، ترجمة سمير خوري، الطبعة الأولى، دار الآداب.
٣٧. تجربة الإسلام السياسي، اوليفية روا، دار الساقي، الطبعة الأولى.
٣٨. البث الفضائي العربي، ضمن الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
٣٩. الإعلام الفضائي والتغريب الفضائي، لمياء طاله
٤٠. الإسلام والإيمان، محمد شحرور.
٤١. اسلام السوق، باتريك هايني، مدارت للأبحاث والنشر.
٤٢. الإسلام الذي يريده الغرب، صالح الغامدي، مركز الفكر المعاصر، الطبعة الثالثة.
٤٣. الإسلام الدمقراطي المدني، شيريل لينبارد ترجمة: ابراهيم عوض، مركز نماء للبحوث
٤٤. احتلال العراق، الأهداف، النتائج، المستقبل، اعداد مركز دراسات الوحدة العربي.
٤٥. احتكار الإعلام في السياسة الأمريكية، صباح ياسين ، العرب والإعلام الفضائي، مجموعة مؤلفين.